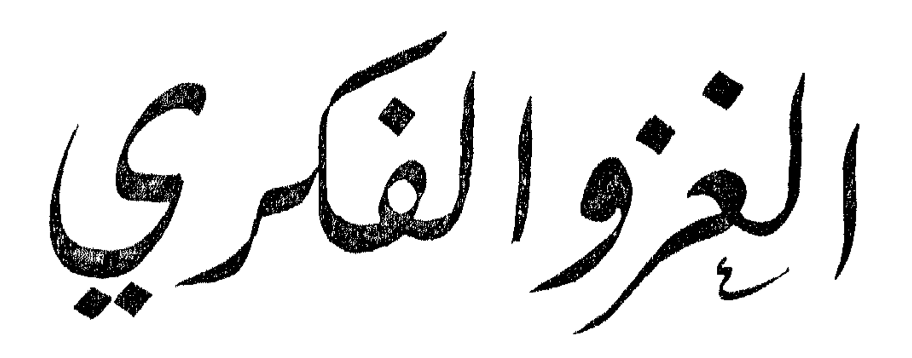
رابطة العالم الإسلامي



أهدافه ووسائله

الدكتور
عبد الصبور مرزوق

مؤسسة مكة للطباعة والإعلام



الغزو الفكري

أهدافه ووسائله

للدكتور
عبد الصبور مرزوق

مؤسسة مكة للطباعة والإعلام

مقدمة

هذا البحث – في أصله – محاضرة القيتها بمبنى الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة في موسمها الثقافي لعام ٩٣/٩٢ هـ

ومن قبله ألقيت محاضرة قيمة لمعالي الدكتور محمد عبده يماني مدير جامعة الملك عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية بعنوان : (حماية الثقافة الاسلامية من أخطار الغزو الفكري) ..

واذا كنت قد حاولت تبيين خطط الغزاة وكشف أهدافهم .. ففي يقيني أن الموضوع لا يبلغ غايته الا اذا وقف القارىء الكريم على (وسائل الحماية) من هذا الغزو .

ومن هنا – فاني لأرجو أن يتسع وقت معالي الاخ الدكتور يماني، لتقديم بحثه الى جماهير أمتنا، اكمالا للفائدة. لا سيما وأني لم أنس ولم ينس من استمعوا الى محاضرته ذلك الشعار الحق الذي رفعه – من موقع المسئولية – عن ضرورة أن يكون لجامعاتنا في المرحلة الراهنة دور محدد في تخريج الطبيب المسلم، المهندس المسلم والكيمياوي المسلم والمثقف المسلم في كل فروع المعرفة ..

كما انتهز هذه الفرصة لاناشد العلماء والمفكرين وحملة الاقلام جميعا في عالمنا الاسلامي كي يسهموا بجهودهم الكريمة في كشف مخططات الغزاة ، واقتراح مايرونه لدرء أخطارهم ..

والله من وراء القصد ، وهو دائما حسبنا ، ونعم المولى ونعم النصير .

د. عبد الصبور مرزوق

غزو الفكر أخطر من الغزو بالرجال والسلاح

بسم الله الرحمن الرحيم

فى الآونة الأخيرة كثر الحديث عن (الغزو الفكرى) الذى تتعرض له أمتنا ، باعتباره الاسلوب المتطور والملائم الطبيعة عصر بات فيه أسلوب الاستعمار الاستيطانى أو الاحتلال العسكرى بقوة السلاح من الامور التى تضر بالغزاة أكثر مما تحقق لهم أهدافهم ، لأن أبسط ما تخلفه أنها تحرك فى الشعوب المغزوة - فى أغلب الاحوال - عاطفة الولاء للوطن وتحرك فيهم حس العمل من أجل الاستقلال والتحرر ..

ومن هنا كان التغير الجديد فى استراتيجية الغزاة بأن يتخلوا عن استعمار الاراضى ويستعمروا - بدلها - العقول والقلوب ، وذلك ما تعورف على تسميته (بالغزو الفكرى) ..

ومن وجهة نظرنا - كأمة مسلمة تتجمع لاستعادة دورها الريادى - نعتقد أن الاسلوب الجديد - أسلوب غزو الفكر - أخطر ألف مرة من أساليب الاستعمار السابقة ، العسكرية والسياسية .. وذلك للأسباب الآتية :

أولا : أن طبيعة الدور الريادى المنوط بأمتنا - كما حدده القرآن الكريم - تقوم على العمل لتحرير البشرية من عبادة كل الطواغيت الى عبادة الحق سبحانه ، سواء تمثلت هذه الطواغيت فى السلطان المستبد ، أو فى الضعف البشرى تجاه متع الحياة الدنيا ، أو الخضوع لنزوات النفس البشرية الامارة بالسوء ، أو الالتصاق بالعنصر الطينى الهابط فى طبيعة الانسان .. وكما قال سبحانه **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ..)**

ومن المحال أن يبلغ المسلم هذه المنزلة التى أشارت اليها الآية الكريمة الا اذا كان على منزلة رفيعة من التفوق بالايمان بالله وبالالتزام الكامل فكرا وسلوكا بخصائص التصور الاسلامى للكون والحياة .. وهذا ما لا يحدث مطلقا مع وجود التخريب الذى يصنعه الغزو الفكرى فى العقول والقلوب ..

ثانيا : ان بلوغ المنزلة الريادية المشار اليهـا يتطلب قدرا غير عادى من الاستعلاء عـلى الحياة الدنيا بكل ما فيها بحيث لا تطرف عين المجاهد المسلم كل مغرياتها ، ويكون حسبه منها ـ حقيقة ـ لقيمات يقمن صلبـه ويستعين بهن على مواصلة دوره الكبير وعلى متابعة رحلته الى النعيم الدائم الذى ينشده فى أخراه ..

وعندئذ لا تخيفـــه قوة الاقوياء مهما عظمت لاستناده الى قوة الخالق الاعظم ، ولا يرهبه الموت فى سـبيل الله مهما كان طعمه مرا ، لأنه معبره الكريم الى النكريم والخلود .. ولا تهتز نفسه أمام مغريات الدنيا لأنه يراها فانية ..

وكل هـذه المعانى يستحيل أن تقوم بالنفس اذا أغرقها غزاة الفكر فى طوفان المتاع الحرام وفى حمــأة التخاذل والضعف والانحلال ..

ثالثا : أن نجاح أمتنا فى أداء دورها يستوجب أن تتوفر لأبنائهـا طبيعة ـ غير عادية أيضـــا ـ فى ايجابيتها الدائمة لرفض كل سلوك منحرف ، وللعمل على تصحيح المـواقف دائمـــا وتعديلها نحو الحـــق والعدالة والخير .. كما يدل عليه دائمـــا ـ وببساطـــة ـ تقديم الامر بالمعروف ـ وهو عمل ايجابى ـ على النهى عن المنكر فى جميـــع الآيات الكريمة التى وردت فى هذا الموضوع فى الكتاب الكريم ..

ولنا فى الآية الكريمة التى أدانت قبول أى من أتباع ديننا العظيم لموقف من مواقف الاستخذاء فى مواجهـة الباطل واعتباره من الظالمين الذين مأواهم جهنم وذلك فى قول الحق سبحانه : ((**ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنـــا مستضعفين فى الأرض . قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيهـــا ؟! فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا**) (١) .

ومثله النهى القرآنى الصريح عن الوهن وتضعضع النفوس فى مواجهة أى محنة بسبب انتصار يحرزه المبطلون .. والوعـــد الصريح بعلو أهل الايمان دائما مهما وعرت الطريق وذلك فى قول الحق سبحانه مؤكـــدا سنته فى احقـاق الحق وازهاق الباطل :

(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين . أن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين) «٢»

---

١ ـ النساء ـ ٩٧ .

٢ ـ آل عمران ١٣٩ ـ ١٤٠ .

فهذا الصمود الشامخ ايمانا بالقيم القرآنية الرفيعة واستشهادا فى سبيلها لا يمكن بلوغه متى أمكن للغزاة تخريب النفوس من الداخل وافقاد المسلمين أهليتهم للنهوض بدورهم الريادى ..

ثم ان نجاح الغزو الفكرى للعقول والقلوب المسلمة ، معناه الاجهاز نهائيا وبطريقة هادئة على كل أثر يمكن أن يصنعه الاسلام فى حياة الفرد أو حياة الامة .. وذلك أقصى ما يطمح الغزاة اليه .. لأنهم يدركون سلفا مدى استمساك المسلم بدينه ، واستحالة تخليه عنه ، ومن ثم فهم يكتفون من نتائج الغزو الفكرى بأن يشلوا فاعلية الاسلام فى حياة المسلم ، ويتركوه فى الحال المتعسة .. لا هو مسلم ولا هو غير مسلم ، لأن نتيجة الحسبة ستكون لصالحهم فى كل الاحوال ..

ومن المعروف المشهور ، الذى يروى فى هذا المعنى عن المبشر الشهير (زويمر) أنهم لما عقدوا أحد مؤتمراتهم التبشيرية لتقويم الجهد الذى تبذله الارساليات فى منطقة الشرق الاوسط وشمال أفريقيا .. وقف أحدهم ليهاجم (زويمر) باعتباره المشرف المسئول عن جهاز التبشير ، وليتهمه بالفشل ، وكانت حجة هذا الرجل .. أنه على الرغم مما أنفق من مال وما بذل من جهود فانه لم يدخل النصرانية شخص واحد .. ولم تنجح الجهود جميعا فى صرف مسلم واحد عن عقيدته ..

فجاب (زويمر) – وهو موطن الشاهد فى الحكاية – بأن تنصير المسلمين ليس غايتنا ، لأننا لا نستطيعه ، ولكن الغاية هى أن نبعد المسلمين عن الاسلام .. وحسبنا ذلك ولو لم ينضموا الينا ..

ولست أنسى فى هذا المقام ما دار بينى وبين الاستاذ الشهيد سيد قطب رحمة الله عليه حينما وقعت اتفاقية جلاء الانجليز عن مصر بالاحرف الاولى – وكان ذلك منذ عشرين عاما «١» – فقلت له مهنئا :

– لنحمد الله أن المستعمرين الانجليز سيخرجون من مصر ، وهذا يتيح للعمل الاسلامى حرية وفاعلية .. فقال ، رحمة الله عليه :

– لقد وقعت الاتفاقية لاخراج الانجليز الحمر ، وهؤلاء خطرهم محدود .. لكن المهم هو أن يخرج من مصر (الانجليز السمر) .. وكان رحمة الله عليه يعنى ذوى البشرة السمراء من المصريين الذين اصطنعهم الانجليز عقليا وسياسيا لحسابهم ، وتركوهم فى مصر يؤدون من الادوار فى خدمة أهداف الاستعمار ما لا يستطيع المستعمرون بأنفسهم أن يؤدوه ..

---

١ – كان هذا فى شهر اكتوبر سنة ١٩٥٤ م

هذا ما حدث .. !

فهؤلاء هم الذين وقفوا فى وجه مصر لئلا تعود اليه ملامحه الاسلامية، وزعموا أن علاقة مصر باليونان والرومان وأهل حوض البحر المتوسط ـ النصارى بالذات ـ أوثق وآكد من علاقتها بأهلها فى الجزيرة العربية ، يهدفون من ذلك الى قطع وشائجها بالدين العظيم الذى نبع فى أرض العرب ..

وهؤلاء هم الذين شككوا فى القرآن ، تحت ستار الحديث عن (الشعر الجاهلى)، وشككوا فى صلاحية الاسلام ليكون نظاما يجمع بين الدين والدولة حينما تحدثوا عن (الاسلام وأصول الحكم) ..

وهؤلاء : أيضا .. هم الذين دعوا الى نبذ التراث العربى الاسلامى بكل ما فيه ، وزعموا أنه حمل أحجار يجب التخفف منه ، وأنه لا سبيل لنهضة مصر والعالم العربى والاسلامى الا اذا تخلوا عنه .. ؟ !

ثم ان هؤلاء كذلك هم الذين شككوا فى صلاحية اللغة العربية لتكون لغة علم وحضارة ، ودعوا الى نبذها ، واستخدام العامية المحلية مكانها فى كل جزء من أجزاء الوطن العربى .. مع وضوح الخطر الذى يحيط بهذه الدعوة من تمزيق الوحدة من ناحية ، وقطع الطريق على المسلم حتى لا يتعرف على تراث القرآن من ناحية ثانية ..

وهؤلاء كذلك هم الذين نفذ الغزاة من خلالهم كل الدعوات التخريبية الهدامة فى منطقة الشرق الاوسط ،وخاصة فى مصر التى كانت تمثل قلب النهضة الاسلامية .. فأبى هؤلاء الا أن تخرج من مصر أخطر الصيحات المناهضة لديننا العظيم ..

وعلى سبيل المثال ـ فهؤلاء العملاء من صنائع الفكر الغازى هم الذين شككوا علانية فى جدوى التضامن الاسلامى ، وحاربوا بعنف فكرة (الجامعة الاسلامية) .. ونادوا فى مقابلها بالنعرات الاقليمية التى ترد أهل مصر الى (الفرعونية) وأهل الشام الى (الفينيقية) وغيرهم الى الاشورية أو البربرية وما الى ذلك من الاعاجيب .. !

وهؤلاء هم الذين خططوا لهدم الاسرة المسلمة عن طريق الشعار الزائف الذى أسموه (تحرير المرأة)، ولو كان تحريرا حقا ونظيفا لرحبنا به ، لأن ديننا العظيم أول تشريع حرر المرأة بحق من كل المهانات والضغط ، وحفظ لها عفافها وكبرياءها مصونين أكمل صون ..

وهؤلاء هم الذين فعلوا وفعلوا الكثير ، الذى لا تتسع له هذه العجالة والذى يحتاج في تسجيله ورصده الى بحوث ومجلدات (١) ٠

الامر الذى يؤكد ما قررناه فى صدر هذه المقدمة من أن الغزو الفكرى أخطر على أمتنا من الغزو بالجيوش والسلاح ، ومن كل استعمار مهما يكن لونه (٢) ٠

---

١ ـ انظر فى هذا : ١/فى الشعر الجاهلى لطه حسين ، ٢ ـ الاسلام واصول الحكم لعلى عبد الرازق ٣ ـ تاريخ الدعوة الى العامية فى مصر للدكتور نفوسة زكريا ٤ ـ الزحف على لغة القرآن لاحمد عبدالغفور عطار ٥ ـ حصوننا مهددة من الداخل د٠محمد محمد حسين ٦ ـ التبشير والاستعمار د٠مصطفى خالدى و د٠ عمر فروخ ٧ ـ تحت راية القرآن للرافعى ٨ ـ اعمال الهالكين :سلامة موسى وفرح انطون و شبلى شميل ، وغيرهم ٠٠ وغيرهم ٠

٢ ـ وانظر كتابى : تحرير المرأة ، المرأة الجديدة لقاسم امين ، ثم انظر كتاب نقد الفكر الدينى ـ للعظم وكتاب تحديث العقل العربى لحسن صعب ٠ ٠

لماذا الغزو الفكري

لماذا الغزو الفكرى ..؟

ولعل من الضروري قبل أن نمضي في حديث الغزو الفكرى ، أن ننبه الى حقيقة ذات أهمية بالغة في هذاالموضـــوع ، وهي أن أعداءنا بعـد محاولاتهم الكثيرة والمريرة لاخماد هذهالدعوة ومحو آثارها من الوجود بكل ما عرف في تاريخ الصراع بينـنـــاوبينهم عبر الزمن ، ابتداء من تحزب الاحزاب يوم (الخندق) وما صحبهمن تآمر اليهـــود في قريظـة وبني النضـــير وغيرهما ، وانتهاء بتحطيمالرمز الـــذى كان باقيا لدولتنـــا الاسلامية ممثلا في خلافة آل عثمان.. وما تبع ذلك من بسط النفـوذ الصهيوني الصليبي عـــلى المسلمينأرضا وشعوبا في كل مكان ..

أقول : ان أعـداءنا بعد محاولاتهم المريرة هذه ، وبعد ما أحرزوه في الكثير منها من انتصارات سياسية وعسكرية قد عجزوا - وما يزالون - عن اخماد جذوة هذا الدين والفراغمن أمره ..

وفي كل مرة يتصورون فيها أنالمعركة كانت مع الاســلام فاصلة ، وأنهمقد انتهوا من أتباعه ومنه ، يخرج عليهم دعاة الحق ليقـــولوا لهم : نحن هنا ، وان الاسلام ما زال حيا وقادرا عـــلى الاســتمرار والتأثير ، وتوجيه أتباعه لمجابهة الباطل ..

حدث هـــذا بعد وفاة الرسول صلوات اللـه عليـــه ، حين أشاع المرتدون أن وفاة النبى قد تعنى نهاية دعوته ، ومنعوا الزكاة وظهـــر بينهم أدعياء النبوة .. وتوهموا آنذاك أن الدعوة يمكن أن تنتهي ، فاذا الخليفة الراشـد يواجههم بكلماته الشهيرة :

(من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات .. ومن كان يعبد اللـــه فان الله حى لا يموت) ..

ثم يجرد لهم من بأس الله جيوشا تذهل الاعـــداء ، وتعـــلى راية الاسلام ..

•◉•

وحدث هذا بعد الضربة الخطيرة التي أنزلت بالمسلمين على يد التتار حين سقطت بغداد في أيديهم سنة ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م وأخذت الجحافل الغازية تتوسع في أرض المسلمين ، حتي لكأن من المســتحيل أن يمتنع عليها شيء .. وخيل للأعداء جميعـاأنها نهاية الاسلام .. ومع هذا تحرك

الاسلام ودفع بأتباعه ليمنعوا تدفق الطوفان ..

وحدث هذا بعد ما امتد الزحف الصليبى على ديار المسلمين ، وخيل للغزاة أنهم قد فرغوا من أمر الاسلام وقال قائلهم : (الآن انتهت الحروب الصليبية ..)

واذا هم بعدها يفاجأون بالروح الاسلامى الكامن يحرك أتباعه للانتفاض والثورة على الغزاة في كل مكان ..

وحدث مثله فى دولة الخلافة العثمانية بعد ما عزلها أتاتوك نهائيا وبعنف عن عالم المسلمين ، وتوهم كثيرون أن الاسلام يوشك هناك أن يختنق ، واذا الايام تكشف عن حيوية الروح الاسلامى الذى يتشط أتباعه اليوم ليطالبوا باعادة النظر فى الكثير مما حدث ..

وآخر ما دهش له الاعداء وفزعوا منه أنهم بعد الاستعمار الصليبى لأحد أقطار الاسلام ثلاثين ومائة عام وأعنى بها الجزائر - وبعد استيلائهم على كل شىء وسيطرتهم بالفكر والتطبيق على مصير هذا الشعب المسلم ..

بعد ثلاثين ومائة عام فاجأهم الاسلام يزحف من الريف والجبل ، ويفرض على الغزاة أن يرتحلوا ، وتخرج العجائز محجبات يهتفن :

(مبروك يا محمد عليك .. الجزائر رجعت اليك) .. يعنون محمدا رسول الاسلام صلوات الله عليه ..

والامثلة فى هذا الباب لا تكاد تحصى ، وكلها تثبت للأعداء والاصدقاء أن هذا الدين قد جاء ليبقى ، وأن الضربات القاصمة التى أنزلت بأتباعه لم تصرفهم عنه ، ولم تكتب نهايته ، بل هى على العكس من ذلك تزيده توهجا فى نفوسهم ، وتحرك فيهم وازع العمل لنصره واعلاء كلمته ..

واذا كان الاعداء تأخذهم الدهشة من أمر هذا الدين الذى لا يريد - مع كل ما بذلوه لقتله - أن يموت .. فما ذلك الا لرفضهم الايمان بما آمنا به من أن هذا الدين انما جاء ليبقى وينتصر وليكون مصدقا لما سبقه من كتب الله ومهيمنا عليها وأنه محفوظ بأمر الله ، رضى الآخرون أم كرهوا ، وذلك على ما يقرره مثل قول الحق سبحانه :

(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره

ولو كره الكافرون . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ..) (١)

***

واذا كان الاعداء لا يريدون أن يؤمنوا بأن الاسلام جاء ليبقى وينتصر كما هو وعد الله ، فانهم لم يستطيعوا اغلاق أعينهم وأفئدتهم عن أثره الخطير فى أتباعه ، وكيف أنه يخلق فيهم ــ متى التزموا بمنهجه ــ طاقات نضالية غير عادية تجعل خطوات الباطل على الطريق حافلة بالمصاعب والمشقات ، كما أنها ــ وهو الاهم ــ تفسد على الغزاة أطماعهم الاستعمارية والاستغلالية فى الارض الاسلامية وربما فى غيرها ..

لم يستطع الغزاة اغلاق أعينهم عن هذه الحقائق ، بل خرجوا منها بالاقتناع الكامل بأن الاسلام لو خلى بينه حقيقة وبين المسلمين لما اقتصر تأثيره فى تحويلهم من الضعف الى القوة ، بل لاصبحوا بالاسلام خطرا جارفا يهدد هؤلاء الغزاة الطامعين فى عقر ديارهم ..

***

وفى هذا المعنى نذكر بالكلمة الخطيرة ذات الدلالة البالغة ، والتى يجب دائما أن تبقى نصب أعيننا ــ نحن المسلمين ــ وهى التى قالها المستر (غلادستون) وزير بريطانيا الاول وأحد المؤسسين الكبار للاستعمار البريطانى فى الشرق الاوسط :

يقول غلادستون :

(ما دام هذا القرآن موجودا فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق .. بل ولا أن تكون هى نفسها فى مأمن) ..

ويقول القس الاستعمارى (سيمون)

(ان الوحدة الاسلامية تجمع آمال الشعوب السمر ، وتعبر عن أمانيهم ، وهى التى تساعدهم على رفض السيطرة الاوروبية والتخلص منها) ..

ويقول (لورانس براون) :

(ان الخطر الحقيقى كامن فى نظام الاسلام وفى قدرته على التوسع

---

١ ــ التوبة : ٣٢،٣٣ .

والاخضاع وفي حيويته ، انه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الاوروبي

ثم يقول :

(اذا اتحد المسلمون في امبراطورية واحدة أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم) ؟!

هكذا يعميه حقده عن الاعتراف بفضل الاسلام على الحضارة الاوروبية خاصة وعلى الانسانية كلها في كل مكان رفرفت عليه راية الاسلام ؟ !

أما اللورد المتعصب (كرزون) فيقول :

(ان أمواج التبشير تضرب عبثا في حائط الاسلام الصخرى الذى لا يهدم ، حيث أنه نظام شامل لكل ناحية ، ويوافق لطقس وعوائد وأعمال أهل البلاد التى وضع عليها يده الحديدية ـ ؟! ـ وأتباعه يخضعون لنظامه مأسورين من المهد الى اللحد) ..

• ◉ •

وخلاصة هذا وأمثاله تؤكد لنا بكل وضوح أن أعداء أمتنا يدركون مصادر القوة الكامنة في ديننا الاسلامي العظيم ، ويقدرون خطرها ، ربما أكثر مما نقدره نحن في أغلب الاحيان .. ومن هذا المنطلق كانت مخططاتهم لمحاربة الاسلام ..

• ◉ •

ومما يجدر الانتباه اليه أن ما نقلناه من أقوال المبشرين أو رجال الفكر والسياسة من الغربيين انما يمثل ـ في الصميم ـ موقف كل القوى المعادية للاسلام ، سواء في ذلك الاستعمار أو الشيوعية ، أو الطاقة العدائية المحركة لهما جميعا وأعني بها الصهيونية ..

فهذه الجبهات ـ على ما قد يبدو بينها من عداء ظاهرى ، أو تنازع على المصالح ، أو تعارض في بعض وجهات النظر السياسية .. الا أنها جميعا ـ وبلا استثناء ـ تتخذ من الاسلام موقفا موحدا في معاداته ، وتتعاون جميعا في العمل على تصفيته والقضاء عليه ، باعتباره ـ كما يؤمنون ـ الخطر الذى يتهددهم والعقبة التى تحول دون أطماعهم المشتركة في السيطرة على الكون وتحويله من عبادة الرحمن الى عبادة الطاغوت ..

ومن أعماق هذا الادراك الصحيح لتأثير روح الاسلام فى أتباعه وكل من يدين به ..

ثم ، من أعماق التجارب الكثيرة الفاشلة ، التى استخدمت فيها قوة المال والسلاح ، وموررست فيها كل أساليب القمع لاخماد جذوة الاسلام فى نفوس المسلمين ، فلم يزدهم ذلك الا اعتصاما بها والتفافا حوله ..

وأخيرا من أعماق مفاجآتهم بالنتائج المضادة لكل أساليب المواجهة ، التى كانت تزيد جذوة الاسلام فى النفوس اشتعالا ..

من أعماق هذا كله ، كان تحركهم القديم والحديث صوب الغـــزو الفكرى ..

وربما قيل : ان هذا الغزو الفكرى قد مورس ضد الاسلام منذ بعيد ، ومع هذا فقد بقى الاسلام وسيبقى باذن الله ، واذا فلا داعى للقلق ..

ربما قيل هذا ــ وهو حق ــ لكن طبيعة العصر الذى نحن فيـــه ، وما طرأ عليه من وعى الشعوب وحساسيتها ورفضها للغـــزو المسلح .. جعل (الغزو الفكرى) هو الاسلوب الاكثر ملاءمة لتحقيق الاهداف ذاتها دون اراقة دماء ، ودون اضطرار الى استخدام الجيوش ..

فبالغـــزو الفكرى تتم خديعة الشعب المطموع فيه عن حقيقته وعن أهـــدافه ، وتنعـــدم أمامه الرؤية الصحيحة للأحداث والحقائق ، فـــلا يحسن التمييز بين عدو وصديق ..

وهذه هى أكثر الحالات ملاءمة لاحتوائه بهدوء فى القبضة الغازية ..

أهداف الغزو الفكري

الهدف الأول :

منع روح الإسلام من الانتشار خارج ديار المسلمين

وحتى لا تكون الكلمات معلقة فى الفراغ ، ينبغى أن نأخذ فى عرض هذا الموضوع الخطير ، وتوضيح أبعاده على نحو منهجى نبتعد فيه — وباصرار — عن الكلمات الرنانة والمواعظ الخطابية ، وندع الحقائق وحدها كى تضع بين يدى القارىء الكريم صورة للموضوع من كل جوانبه حتى يقف على خطر الكارثة التى تهددنا ونحن ننام بالفعل فوق برميل من البارود ..

•◉•

وهنا نسأل أنفسنا : اذا كانت لكل عمل أهدافه وغاياته ، فما هى دوافع الغزو الفكرى الذى يمارسه الاعداء ضدنا وما أهدافه .. ؟

والجواب الذى يؤكده استقراء التاريخ وملاحظة الحوادث هو أن أهداف الغزاة تتركز فيما يأتى :

الهدف الاول منع روح الاسلام من الانتشار خارج ديار المسلمين :

وأعنى به الحيلولة دون تصدير مبادىء الاسلام الحق الى الخارج .. وذلك لأن الاسلام — وهم يعلمون هذا جيدا كما سبقت الاشارة — هو الدين البسيط فى مثاليته وفى واقعيته ، وهو الذى يتفق والفطرة الانسانية التى فطر الله الناس عليها :

(ان الدين عند الله الاسلام) (١) .. **(صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة)** (٢) .

ومن هنا تسرع النفوس فى الاستجابة اليه متى خلى بينها وبينه ..

والاسلام من ناحية ثانية هو الدين المثالى الذى حرر الانسان — حقا وصدقا — من كل الضغوط التى تلغى شخصيته وتهدر وجوده وكرامته كانسان ، وتسمح له بل وتطالبه أن يتعامل مع الآخرين — مهما اختلفت أوضاعهم الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية — معاملة الند للند ، أو معاملة الاخ مع أخيه : **(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم)** (٣) .

---

١ — ال عمران ١٩ .
٢ — البقرة ١٣٨ .
٣ — الحجرات ١٣ .

والاسلام قبل هذا — أو بعد هذه هو الدين الأعظم والاكمل الذى يستطيع أن يجتاز بالانسان مرحلة التناقض بين الفكر والسلوك ، ويعبر به حالة التذبذب بين العبادة والعمل، وحالة التمزق بين العمل للدنيا والعمل للاخرة ..

الاسلام وحده الذى حقق التوفيق بين هذه التناقضات ، وأتاح للانسان فى ظل تعاليمه — أن يكون من أعظم العاملين للآخرة ولمرضاة ربه ، فى الوقت الذى يكون فيه غارقا فى شئون الدنيا حتى أذنيه .. على نحو ما قال سبحانه : (**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا . وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض**) (١) وكما قال سبحانه : (**يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا**) (٢) .. وكما قال صلوات الله عليه بما معناه : «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا» .

الأسلام بهذا هو الدين الأعظم والاكمل الذى فتح أمام الانسان الطريق الواقعى والممكن لممارسة حالة الارتقاء من وهدة الطين الى عوالم الخير والعدالة والحق ..

***

وهذه الميزات التى اختص بها ديننا الاسلامى العظيم .. هى نفسها التى تؤرق مضاجع هؤلاء الغزاة .. لانها تكشف باطلهم من ناحية ، وتظهرهم أمام شعوبهم وأمام الامم التى يطمعون فى الاستيلاء عليها بمظهرهم العدوانى الحقيقى ، ومن ثم تهدد مخططاتهم جميعا أبلغ تهديد ..

فأعداء الاسلام — الذين هم فى الوقت نفسه أعداء الحق والخير — يريدون عالما أعمى كأنه عالم من العجماوات يقاد من أذنيه ، ويضحك عليه الجزار بحزمة من البرسيم قبل أن يحتز عنقه بالسكين ..

هم يريدون شعوبا تعاملهم معاملة العبيد ، فتقبل منهم ما يعطونها ، وتصبر على كل ما ينزلونه بها من طغيان أو استبداد ، وتكدح ليلها ونهارها لكى تنتفخ الخزائن فى مصارف المرابين ..

---

١ — القصص ٧٧
٢ — الاعراف ٣١

هم يريدون شعوبا يكون همها الاول والاخير أن تجد لقمة الخبز ، ولا بأس بعدها أن يساقوا بالملايين الى ميادين الحرب والهلاك خــــدمة فى النهاية لتجار الدماء ..

يريد الغزاة كل ذلك ، ويعملون له ..

فاذا جاء الاسلام ليسوى بين الناس ، وليرفع القداسة عن المخلوقين ويستبقيها للخالق وحده .. واذا جاء ليحرر العبيد من قبضة النخاسين .. فهــذه عنـدهم كارثة يجب العمل للحيلولة دون حدوثها ..

•◉•

والاعداء فى تقدير هذا لخطر الاسلام عليهم لا ينطلقــون من الفكر النظرى المجرد ، وانما يؤسسونه على ملاحظة الواقع ، ومتابعة مسيرة هذا الدين وأثره فى معتنقيه منذ ظهوره ..

فقد أكدت لهم خبراتهم السابقة مع الاســلام أنه بالفعل يمكن أن يكون خطرا عليهم وأن يهــددهم ، فالمسلمون فعلا قد استطاعوا يوما أن يسيطروا على الدولتين الفارسية والرومانية ، وأن يحرروا من كانوا فيهما من البشر ، ويقوضوا أركان الطغاة ..

والمسلمون يوما قد استطاعوا أن يعبروا البحر ال شبه جزيرة الاندلس وأن يجتاحوا معاقل الاعداء ، ويقيموا فيها المساجد ، واستطاعوا قبل هذا أن يعرضوا عــلى الناس صورة لم يروها من قبل لهذا الدين العظيم ، واذا الآلاف من المقهورين والعبيــد يجدون فيه خلاصهم وينضوون تحت لوائه ..

أعداء الاسلام فى الغرب رأوه ذات يوم يدق عليهم أبوابهم ويضيىء مشاعل الهداية والنور فى البقــاع التى كانوا يحرصون على أن تبقى فى الظلمة والجهالة ..

واذا ، فهم يعرفون جيدا أن الاســلام يمكن أن يحرر العبيد من قبضتهم ، ويمكن له أن يضع حـدا لطغيانهم واستبدادهم بالناس ، وهذا بالنسبة لهم كارثة ، لأن أخــوف ما يخافه المجــرمون عادة أن يفضح اجرامهم أمام قاض عدل ..

ومن هنا كان الجزء الاول من اســتراتيجيتهم أن يحــاولوا حصر الاسلام داخل ديار المسلمين وأن يعملوا بكل الطـاقات لوقف انتشاره خارج هذه الديار ..

وكانت لهم في ذلك وسائل متنوعة تقـــوم أولا وأخيرا على تشويه حقائق الاســـلام واظهار أتباعه فيأسوأ صورة ، ومن هذه الوسائل :

١ ـ نشر الاباطيل حول شريعة الاسلام :

ومن هذه الاباطيل الزعم بأن القرآن لم ينزل على نبينا صلى اللــه عليه وسلم من عند الله ، ولكنه افتراه وتقوله ٠٠ وهي فرية قديمــة نطقت بها أفواه المشركين منذ صدرالدعوة ، ورد عليها القرآن الكريم في أكثر من عشرين ومائة آية من كتاب‌الله توزعت بين التقرير الصريح بأن القرآن : **تنزيل من الرحمن الرحيم**(١) ٠ و : **تنزيل من رب العالمين** (٢) و : **بالحق أنزلناه وبالحق نزل** (٣) ٠أو بين الرد المباشر على مزاعم القوم والذي أخـذ أحيـانا شكل شـهادةربانيةبصدق الرسالة والرسول‌تسقط أمامها كل الاباطيل كقوله : **لكن الله‌يشهدبما أنزل اليك‌أنزله‌بعلمه‌والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا** ٠ (٤)

وفي مواقف أخرى أخذ الرد القرآني على هـــذه الفرية جانب تحليل دوافع القوم الى مثل هذا الافتراء ،وبيـــان أن حقدهم الشخصي عـــلى صاحب الرسالة صلوات اللـــه عليه‌واستكثارهم أن يختص من بينهـــم بالرســـالة ، هو دافعهم ما يفتـــرون ، وذلـــك فـــي مثـــل قول الحق ســـبحانه : ٠٠ **وليزيدن‌كثيـــرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا** ٠ (٥) وقوله : **وقالوالولا نزل هذا القرآن عـلى رجل من القريتين عظيم ٠ أهم يقسمون رحمةربك** ٠٠ (٦)

٠◉٠

ومن الاباطيل التي روجها الاعداء في مجتمعاتهم ، ثم صـدروها الى ديار المسلمين من بعد ، تلك الفرية‌التي زعموا فيها ان الاســـلام ليس سوى اقتباس من كثير من الشرائع‌والديانات السابقة ؟!

---

١ ـ فصلت ٢

٢ ـ الواقعة ٨٠

٣ ـ الاسراء ١٠٥

٤ ـ النساء ١٦٦

٥ ـ المائدة ٦٤،٦٨

٦ ـ الزخرف ٣١و٣٢ ، ثم انظر « المعجزةالكبرى : القرآن » للمرحوم «محمد ابو زهرة»

والهدف من وراء ذلك واضح وهو محاولة صرف أنظار أتباعهم عن التأثر بهذا الدين أو حتى عن مجرد النظر فيه ، بدعوى أن ما جاء فيه موجود عندهم ..

ولا يعنينا هنا الرد على هذه المفتريات التى برع فى نسجها لفيف من المستشرقين من أمثال جب وجولدزيهر و شاخت و دوزى وغيرهم ، فقد تصدى لها غير واحد من علماء المسلمين وكشفوا فيها عن وجوه الزيف والخطل وفساد الطوية وسوء القصد (١)

وانما يعنينى تأكيد ما أشرت أليه من أن هؤلاء القوم كانوا يخشون الاسلام ويخافونه على أنفسهم وعلى مصالحهم وعلى فكرهم الباطل أن تزهقه اشراقة الحق ، فاتخذوا من مثل هذه المفتريات سبيلا الى منع أتباعهم من التعرف على هذا الدين ..

•◉•

٢ ـ تجسيم مظاهر الضعف فى ديار المسلمين وحملها على الاسلام :

ولكى يحول الاعداء بين أتباعهم وبين الاتصال بهذا الدين العظيم والتعرف على خصائصه ، حاولوا بتخطيط واع أن يلصقوا بالاسلام كل الاخطاء والانحرافات التى كان يتورط فيها بعض المسلمين . وكانوا بوسائلهم المختلفة يضعون صورة المجتمع الاسلامى فى أسوأ ظروفه السياسية والاجتماعية ، يضعونها تحت أعين أتباعهم ويقولون لهم : هذا هو الاسلام .. ولقد نتج عن هذا أن كانت الصورة الشائعة ـ وما تزال عند كثيرين من الغربيين حتى اليوم ـ أن كلمة مسلم تعنى التخلف والغيبية والعجز وعدم الصلاحية لممارسة أى دور حضارى ..

ونحن لا ننكر أن دولتنا الاسلامية قد تعرضت فى العصور المتأخرة لحالة جزر سياسى شديد قعد بها وبالمسلمين جميعا عن دورهم الكبير ، وأفقدهم ـ كما يقولون ـ مكانهم الحق فى قيادة الحضارة بمفهومها الحديث ..

---

١ ـ انظر على سبيل المثال شبهات حول الاسلام للاستاذ محمد قطب حقائق الاسلام وأباطيل خصومه للاستاذ العقاد ، الاسلام فى نظر المستشرقين للدكتور ابراهيم اللبان ، دراسات فى تدوين الحديث النبوى للدكتور محمد مصطفى الاعظمى ، مفتريات على الاسلام للاستاذ احمد محمد جمال .

لا ننكر هذا لأنه الواقع ٠

لكنا ننكر أشد الأنكار أن يكون الاسلام هو المسئول عن ضعف المسلمين أو عن تخلفهم فى أى مضمار ٠٠

بل التبعة الكبرى تقع على المسلمين أنفسهم ، لأنهم تخلوا عن الاسلام فتخلى عنهم نصر الله ، ولم يعودوا أهلا لتحقيق وعده لهم (١) ٠

٠◉٠

وأبسط الادلة على أن هذا التخلف عيب المسلمين وليس عيب الاسلام ، ما يسجله التاريخ ولا يستطيع واحد من الاعداء أن ينكره من مقدرة الاسلام الخارقة على صناعة أعظم النماذج البشرية رقيا فى تاريخ البشرية كلها على الاطلاق ٠٠

رقيا فى الفكر وفى السلوك ، وفى صحة التصور لموقف الأنسان من الكون والحياة ٠٠ وكل هذا مع مرونة رائعة وتفتح عجيب على أسرار الوجود ٠٠

وانى لأتحدى الاعداء جميعا أن يكون فى تاريخهم رجل كونته أفكارهم ومعتقداتهم ، كما صنع الاسلام نموذج عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ٠٠

ذلك الرجل الذى كان فى جاهليته يعيش لاهيا شديد البأس كما يعيش أى آدمى يملك عنفوان القوة فلما هداه الله للاسلام كان من أروع النماذج فى تاريخ الانسان حزما وعزما ومرونة وسعة أفق وعزوفا عن الدنيا وتواضعا أمام الحق ، وتأثيرا فى الدنيا كلها من حوله ، تأثيرا كان وسيبقى ما بقى التاريخ ٠٠

واذا كنت قد أشرت الى ابن الخطاب رضى الله عنه فليس ذلك باعتباره النموذج الاوحد ، لكنه النموذج الاشهر ، والا ٠٠ فكل الذين دخلوا فى دين الله — وخاصة فى الصدر الاول للدعوة — كانوا — بالاسلام — من أرقى نماذج البشر ٠٠

---

١ — انظر : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للاستاذ :« ابو الحسن الندوى »

ثم ان أثر الاسلام فى أتباعه لا ينتهى عند صناعة النماذج الفردية ، ولكنه استطاع فى الزمن المحدود جدا أن يصنع من رعاة الابل والشاء قادة وسادة وحكام امبراطورية مترامية كان لها شأنها العظيم ذات يوم ..

واستطاع علماء المسلمين ومفكروهم أن يسهموا بجهد لا يمكن اغفاله فى تاريخ الحضارة وتاريخ الفكر والعلوم الى الحد الذى كان له تأثيره الكبير فى تاريخ أوروبا نفسها حتى زمن غير بعيد ، حيث كانوا يتلقون معارفهم فى مختلف الثقافات والعلوم عن الاساتذة المسلمين ..

وعلى هذا ، فالاسلام – اذا مارسه المسلمون على وجهه الحق – يصنع منهم العجائب أفرادا وجماعات كما تنطق التجارب السابقة والناجحة ..

أما اذا تخلوا عنه وتعرضوا للتخلف والانحدار ، فالذنب ذنبهم وليس ذنب الاسلام ، وهذا ما يسلم به الاعداء جميعا ويدركونه فى أعماقهم ، لكنهم – كما أشرت – يحاولون أن يشوهوا صورة الاسلام حتى تفقد اغراءها وتأثيرها على أتباعهم ، ومن ثم يحملون على الاسلام – بالباطل وبالتضليل – أخطاء المسلمين ..

•◉•

١ – تصوير الاسلام على أنه دين العنف والدماء :

وهذه الفرية قد استخدمها الاعداء ضد الاسلام مرتين بخبث وذكاء (١) :

مرة حين احتاجوا اليها ليخيفوا أتباعهم من الاسلام ويستنفروهم ضده فصوروه لهم على أنه الدين الذى لا يسير الا بالسيف ، والذى يحول أتباعه الى متوحشين وقتلة .. وقد أثمرت هذه الفرية ثمراتها فى سجل العدوان الطويل الذى وفد علينا بالحقد والويلات من الغرب ، والذى عرف تاريخيا باسم (حرب الصليب) ..

ومن الغريب أنه بعد أن أخذت الحرب الصليبية أشكالا أخرى فى عصرنا الحاضر تختلف عن تلك التى كانت لها فى العصور القديمة ..

١ – انظر : معالم الطريق للشهيد سيد قطب . الفصل الخاص بقضية « الجهاد » .

من الغريب أنهم — وهم العادون — مايزالون فى حرصهم على اشعار قومهم بأن الاسلام مصدر خطر ، لأنه الدين الذى يقر العنف ويبيح رؤية الدماء بدليل قطع يد السارق ورجم الزانى باحصان ، وضرب عنق القاتل ..

•◉•

والمرة الثانية التى استغلوا فيها حكاية (الإسلام والسيف) هذه كانت موجهة الينا .. الى المسلمين فى قلب ديارهم لكى يتحولوا بهم من أهل رسالة عمادها الجهاد الى أمة حسبها من الغنيمة الاياب لو استطاعت أن نظفر به ..

وكانت هذه النقطة فى التخطيط المعادى — نقطة التركيز على حكاية السيف والاسلام من أهم ما جرى الاهتمام به عندهم ، لأن غايتها هى ابطال العمل بفريضة الجهاد فى الاسلام ، وهى العماد الاساسى الذى لا يمكن للمسلمين أن يمارسوا دورهم فى الحياة بدونه ..

ولقد نجحت — الى حد ما — حملة الاعداء وتركيزهم على حكاية انتشار الاسلام بالسيف ، حتى كونت بين بعض المسلمين من ظن أن الجهاد فى الاسلام أمر يحتاج الى تبرير ، فانتشر القول بأن الجهاد فى الاسلام لم يكن الا للدفاع ، وهذه أول ثمرة جناها الغزاة من حملتهم المركزة على الاسلام فى هذه الناحية ، لأن الجهاد يمكن أن يكون دفاعا ، ويمكن أن يتم ابتداء لنشر دين الله والتخلية الصحيحة بين الخلق وعبادة الخالق ..

ولم يكتف الغزاة بهذا الكسب ، بل صنعوا مجموعة من المخربين ، الذين يظهرون انتسابهم الى الاسلام ثم يسيرون مع هذا فى مخطط العدو ويتبنون أهدافه فى هذه النقطة التى هى الغاء فريضة الجهاد ، واعلان الاستسلام للغزاة وموالاتهم ..

•◉•

وكان أبرز نموذج لهذا اللون ما ظهر على يد (الميرزا غلام أحمد) ، داعية النحلة الكافرة المسماة بالقاديانية ، وفى هذا يقول هو نفسه :

(لقد قضيت معظم عمرى فى تأييد الحكومة الانجليزية ومؤازرتها)

(وقد ألفت فى **منع الجهاد ووجوب طاعة أولى الامر الانجليز** من

الكتب والنشرات ما لو جمع بعضه الى بعض لملأ خمسين خزانة ، وقد نشرت هذه الكتب جميعا فى البلاد الغربية ومصر والشام وكابل) (١)

ويقول فى موضع آخر :

(ولقد ظللت منذ حداثة سنى ـ وقد ناهزت الستين اليوم ـ أجاهد بلسانى وقلمى لأصرف قلوب المسلمين الى الاخلاص للحكومة الانجليزية ولما فيه خيرها والعطف عليها .. **وأنادى بالغاء فكرة الجهاد التى يدين بها بعض جهالهم** ـ هكذا ؟! ـ **والتى تمنعهم من الاخلاص لهذه الحكومة**) (٢) .

ولن أطيل الوقفة هنا أمام مثل هذه النحل الهدامة من القاديانية أو البابية أو البهائية أو الماسونية أوغيرها ، فسوف نعرض لذلك فى موضعه من هذا البحث ان شاء الله ..

وحسبى ما نقلت من هذا النموذج الذى يؤكد أولا علاقة هذه الحركات الهدامة بقوى الاستعمار الصليبى المعادية للاسلام .. ويؤكد قبلها ما أشرت اليه عن طبيعة المخطط الذى يعمل بكل الوسائل لحصر خطر الاسلام ـ كما يدعون ـ داخل الحدود الاسلامية سواء عن طريق تخويف غير المسلمين من الاسلام ، أو تكوين جماعات تنسب الى الاسلام كى تنادى بابطال فريضة الجهاد ، وصولا الى الغاية نفسها كما رأينا ..

•◉•

ويتصل بحرص الغزاة على تنفير أتباعهم من الاسلام استنفارهم ضده ن طريق تصويره بأنه دين العنف والقسوة والدماء ..

يتصل بهذا ـ غير ما سبق ـ ما أكثروا القول فيه حول مسألة الحدود فى الاسلام كرجم الزانى باحصان ، وقطع يد السارق وغيرهما ..

ونحن فى البداية لا ننفى أن العقوبة قاسية ، بل نقر أنها كذلك ، ويجب أن تكون كذلك .. ومن المعلوم أن الجرائم ذات العقوبات المحددة لخمس (٣) :

---

١ ـ من ملحق كتاب شهادة القرآن الطبعة السادسة ص١٠ عن كتاب «ماهى القاديانية» للاستاذ المودودى ص ١٢

٢ ـ المصدر السابق

٣ ـ انظر : الندوة العلمية بين فريق من كبار علماء المملكة العربية السعودية وبين فريق من كبار رجال القانون والفكر فى أوربا حول الشريعة الاسلامية وحقوق الانسان فى الاسلام . نشر وزارة الاعلام السعودية عام ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م

١ ـ جريمة القتل .
٢ ـ جريمة السرقة .
٣ ـ جريمة الزنا .
٤ ـ جريمة القذف (اتهام المحصنات والمحصنين بالزنا) .
٥ ـ جريمة الإساءة الى الامن العام أو (السعى بالفساد فى الارض) .

ولسنا بحاجة الى مناقشة فلسفة العقوبة ازاء هذه الجرائم ، لأننا مقتنعون الى درجة الايمان بعدالة التشريع الاسلامى ومناليته فى تحقيق الغرض التى شرعت من أجله الحدود والتعزيرات فى الاسلام ..

لكن ما ننبه اليه هو النتائج المقارنة بين الآثار الطيبة التى يتركها تطبيق التشريع الاسلامى فى البلاد التى تلتزم به ، وبين الفوضى الشاملة فى البلاد التى تعمل بالتشريعات الوضعية ..

فمن الثابت حسب الاحصائيات الدولية المنشورة أن أقل نسبة تمارس فيها الجرائم المشار اليها فى العالم إنما هى فى البلاد التى تطبق الحدود الاسلامية ..

وليس معنى هذا أن مجتمعات المسلمين هى مجتمعات ملائكة ؟! كلا ولكن معناه أن نوازع الشر فى الانسان لا تستطيع أن تعربد فى المجتمعات التى يحكمها التشريع الاسلامى كما تسرح وتمرح فى مجتمعات الحضارة الحديثة ، سواء فى الغرب أو فى الدول الشرقية التى تحتذى بالغرب ..

•◉•

ومن طريف ما يذكر فى هذا الشأن ما قرره أحد أعضاء ندوة الشباب الاسلامية العالمية التى عقدت بمكة المكرمة فى موسم الحج ٩٢/٩٣ هـ . وهو من المسلمين الملونين فى أمريكا ، أنه حين هم بمغادرة الفندق الذى كان ينزل به سألته زوجته ـ وهى أيضا أمريكية ملونة ـ كيف يدعها وحدها وهو الذى لم يفعل ذلك منذ تزوجا فى أمريكا ؟

فقال لها : لا تخافى نحن هنا فى بلد الاسلام ، ولن تجدى أبدا من يحاول العدوان عليك أو اختطافك ـ كما يحدث هناك ـ بل حتى ولن تجدى من يجرؤ أن يخدش حياءك بكلمة ..

وأقامت السيدة طوال موسم الحج وهى تروح وتجيء وحدها أو مع قرينها ، وهى فى الحالين موضع الاجلال والاحترام ..

ومن الاشياء ذات الدلالة كذلك فى هـذا الشأن ما ذكـره الوفد السعودى فى الندوة العالمية المشار اليها سابقا ما نصه (١) :

(ان وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية المستر روجرز ، قد استطاع فى زيارته للمملكة العربية السعودية عام ١٣٩١/١٣٩٢ هـ ـ الموافق ١٩٧١/١٩٧٢ م ٠ قد استطاع ومرافقوه أن يتخلوا عن سياراتهم المصفحة ، التى رافقتهم فى طائرات خاصة أثناء زيارتهم لاكثر من عشر دول ٠٠

(وفى المملكة فقط رفضت الدولة قبول انتقالهم فى هذه السيارات المصفحة ٠٠

(ولم يتم المستر روجرز نفسه زيارته حتى تخلى أخيرا عن حـرس الشرف ، الذى يصاحب عادة ضيوف الدولة من الاجانب ونزل الى السوق وحده ، وبدون حراسة ، وقال روجرز :

(هنا وفى هذه البلاد فقط يشعر الانسـان بالامان وبالاستغناء عن الحراسة) ٠٠

•◉•

ان أثر الحدود الشرعية فى تحقيق الامان وصيانة المجتمع ، أصبح اليوم بالتجربة والمعاناة لا يحتاج الى بيان ، ويلمسه العالم كله ويشهد به ٠٠

ولولا التعصب المقيت لما ترددوا فى الدعوة الى الاخذ به ، لكن الامر عندهم لا يمضى بمنطق العقل والموضوعيـة ، وانما تحـركه المصالح الاحتكارية والاستغلالية المسيطرة على مقدرات الشعوب الغربية جميعـا بالمفهوم الواسع لكلمة الغرب ، كما تحركه القوى المستورة والظـاهرة للصهيونية العالمية ، التى تحرص دائمـا على ابقاء العـالم مشدودا الى مشاعر القلق والخوف وافتقاد الطمأنينـة والامن ٠٠ عـلى ما نعرض له بعد ٠٠

ومن هنا كان تشهيرهم المفضوح بالاسلام ٠٠

---

١ ـ المصدر السابـق ص٢٩و٣٠

٤ ـ تصوير مزايا الاسلام على أنها عيوب :

ويتصل بخطة الغزاة فى منع الاسلام من الانتشار خارج الحدود ، والحيلولة بينه وبين أتباعهم ، يتصل بهذا سعيهم الدائم لانتقاص التشريع الاسلامى وابراز محاسنه فى صورة عيوب ونقائص ..

فموضوع الطلاق وتعدد الزوجات الذى يعتبر ـ بكل ما يكتنفه من ضوابط ـ رحمة رحيمة من الحق سبحانه بعباده .. صوره هؤلاء لاتباعهم ولعالم كله على أنه ضرب من الهمجية وفوضى الجنس يبيحها هذا الدين للمسلمين ..

مع أن الاسلام ـ كما هو معروف ـ جعله رعاية لكثير من المصالح التى تنعدم اذا كان التعدد محظورا ، كحالة المرض المزمن الذى تتعرض له الزوجة ، أو أن تكون عقيما ، أو يستحيل الوصول معها الى حالة المعاشرة باحسان .. ومع هذا تكون ثمة ظروف تستوجب الابقاء عليها فى عصمة الرجل رعاية لاولادها منه أو رعاية لضعفها هى وظروفها الخاصة ، وما الى ذلك ..

وكذلك فان الاسلام قيده بشرط ثقيل هو تحقيق العدل فى المعاملة بين الزوجات فى كل الامور التى يمكن العدل فيها كالنفقة والمسكن ، والرعاية بحدودها الواسعة .. فاذا انتفت القدرة على تحقيق هذا العدل انتفت حكمة التعدد ، وأصبح الاقتصار على الواحدة هو الاصل ، وذلك على ما أشار اليه قول الحق سبحانه :

.. فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة .. (١)

ثم قوله سبحانه :

.. ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وأن تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما .. (٢)

ومع هذه الضمانات ، ومع ما شرعه الاسلام من حقوق فى جميع أحوالها على أساس الامساك بالمعروف و التسريح بالاحسان ..

---

١ ـ النساء ٤

٢ ـ النساء ١٢٩

مع هـــذا ، فان الغزاة الذين امتهنت المرأة فى مجتمعاتهم كما لم تمتهن فى أى مجتمـــع آخـــر ، وأصبحت تعامل فى المجتمع الشيوعى على أنها مجرد وسيلة من وسائل الانجاب والمشاركة بقدر من العمل لقاء ما تحصل عليه من قوت .. كما تعامل فى المجتمع الرأسمالى كوســيلة من وسائل تنمية الارباح وتنشيط حركة السوق ، فأصبحت تصدر فى واجهات المحلات التجارية بائعـــة وعارضـــة أزياء ومروجة للاسهم فى شركات التأمين ، وسكرتيرة لرجال الاعمال ، حتى لاعبة فى السيرك ..

المهم أنها تستخدم عندهم لتحقق ربحا .. ومتى تحقق الربح فلا عليهم منها .. لتذهب الى الجحيم أو لتتبادلها أيدى الرجال كأنها منشفة فى أحد المطاعم ، ولتحرم دفء الاسرة وحنانها .. فكله لا يهم ، ليس مهما ما دامت تحقق ربحا للمرابين الذين هم فى النهاية من اليهود ..

يحدث ذلك فى مجتمعاتهم ، ويصـــفوه بأنه التقـــدم ، فاذا صان الإسلام كرامتها ، قالوا فيه ما قالوا .. حتى لا يفتحوا أعينها على الطريق الذى يكون فيه مخلصها ، وتستطيع به أن تفلت من المهانة ..

ومن الغـــريب أن الغزاة الذين يعيبون تعدد الزوجات أو الطلاق ، تعترف مجتمعاتهم علانية بحق الرجل وهو مـــتزوج بأن تكون له خليـــلة وخليـــلات وأن تكون له منهن أولاد وذرية ..

•◉•

ومن أساليبهم فى التشـــهير وانتقاص الاسلام ، الزعم بأنه لا يقيم وزنا الا للمعنويات والجوانب الروحية فى الانسان ويهمل حوائجه المادية ولهم فى هـــذا فلسفات ومذاهـــب ، وكلهـــا تتحدث عـــن الانســـان وكأنه مجرد بطن وفرج يحتاجان فقط الى الامتلاء والاشباع .. تماما وكأنه حيوان ..

ولعل أبسط رد على ذلك هو التقرير الخطير الذى أذاعته جميع وكالات الانباء العالمية منذ قرابة عامين نقـــلا عن وزارة الشئون الاجتماعيـــة فى السويد ، وهى من أكثر بلاد الغرب اعتدالا فى المناخ ورخاء فى الحيـــاة المادية وانطلاقا فى اشباع شهوتى البطن الفرج الى أبعد الحدود ..

ومع هذا ، ذكر التقرير الرسمى أن أكثر من ٣٠٪ ــ ثلاثين بالمائة من السكان يعانون من الاضطراب والتمزق النفسى ويمارسون الخـــلاص من الحيـــاة بالانتحار .. مما يؤكد أن الماديات ليست وحدها أسس التوازن النفسى ..

٥ - اتهام الاسلام بشل قوى الإبداع والعبقرية بين أتباعه :

وفي هذا أنقل فقرة من كلام أحدهم ، وهو المستشرق الفرنسي « كيمون » الذي قال في كتابه : « باثولوجيا الاسلام » :

« إن الديانة المحمدية - هكذا يسمونها دائما للايهام بأنها من صنع النبي وليست ربانية - الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا ، بل هي مرض سريع وشلل عام وجنون ذهولي ، يبعث الانسان على الخمول والكسل ولا يوقظه منهما الا ليسفك الدماء ، ويدمن على معاقرة الخمر ، ويجمح في الرذائل » ..

« وما قبر محمد - صلى الله عليه وسلم وحاشا لله - الا عمود كهربائي ، يبعث الجنون في رءوس المسلمين ، ويلجئهم الى الاتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلي وتكرار لفظة (الله الله) الى ما لا نهاية ، والتعود على عادات تنقلب الى طباع أصيلة ككراهية لحم الخنزير ، والنبيذ ، والموسيقى (١) » ..

• ✱ •

وبلحظة من التأمل نطالع في هذه الفقرة القصيرة مجموعة من الاتهامات الغريبة للاسلام ، أبرزها أنه يبعث على الخمول والكسل ، وأنه يلغي فاعلية العقل ، ويسلب أتباعه القدرة على التفكير المبدع ، ثم أنه أخيرا مجموعة عادات وليس دينا من عند الله ..

أما حكاية أن الاسلام يعود الكسل والخمول ، فلست أدري من أين جاء بها ذلك المفترى ، مع أن العمل في شريعتنا هو المعيار الأوحد لتقويم الاشخاص والاحداث ، ولا شيء قبله يمكن أن يوضع في الميزان ..

والآيات التي تضمنت حديث العمل في القرآن تربو على ٣٥٠ خمسين وثلاثمائة آية ، موزعة بين الحض الصريح على العمل والأمر به من مثل قوله : - **قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل** - (٢) وقوله : - **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا** - (٣)

---

١ - عن كتاب تاريخ الامام محمد عبده للشيخ رشيد رضا ج ٢ ص ٤٠٩

٢ - الانعام ١٣٥ ٣ - المؤمنون ٥١

وبين تحديد نوع وطبيعة العمل المطلوب أو المنهى عنه من مثل قوله :
ـ من يعمل سوءا يجزبه ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ـ (١)
وقوله : **ـ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ـ** (٢)

ولو صح أن الاسلام يشل قدرات أتباعه ويقعد بهم عن الحركة والنمو ، لما أقام له الاعداء أى ميزان ولما حقدوا عليه كل هذا الحقد ، لكنهم يغالطون ..

أما زعمهم بأنه يسلب طاقات الابداع من أهله فهذا باطل كبير ، وتاريخ العلوم عند المسلمين حافل ، وشاهد بالتفوق فى مجالات كثيرة ، نذكر من أعلامها أمثال : الزهراوى وابن النفيس وابن الهيثم والخيام والكاشى والبيرونى وابن سينا ومئات من أمثالهم ممن كانوا على مستوى أيامهم قمما شامخة فى فروع تخصصهم ، وعنهم وحدهم عرف الغرب ـ الذى يصاب رجاله أحيانا بفقد الذاكرة ـ كيف يكون العلم وتكون الاضافة الحضارية الفذة الى تاريخ الانسان ..

وليس الاسلام هو الذى يحمل أتباعه على استدبار الحياة والفرار منها الى الاديرة والصوامع أو الذى يقر الرهبانية منهجا من مناهج الحياة .. !

ولكنه الدين الذى يقول رسوله صلى الله عليه وسلم بما معناه :
« لو أن بيدى فسيلة نخل وعلمت أن القيامة تقوم الساعة ما ترددت أن أغرسها » ..

فالاسلام يعلم أتباعه حب الحياة كأنهم يعيشونها أبدا ، ولا يدعوهم الى الترهب أو التصوف الفارغ ، أو البقاء خارج هامش الدنيا ـ كما يزعم الآخرون ..

لكن الفارق بين الاسلام وغيره أنه يعلم أتباعه فى موقفهم من الدنيا أن يمتلكوها ولا يكونوا عبيدا لها وأن يأخذوا مما فيها الطيب ، والحلال ، الذى يرتقى بروح الانسان وسلوكه ولا يهبط به ..

---

١ ـ النساء ١٢٣
٢ ـ النساء ١٢٤

واذا كانت النهضة العلمية والحضارية متخلفة فى الجانب المادى منها عند المسلمين اليوم ، فلا صلة لهذا الامر بالاسلام ، ولكنه الحصاد الطبيعى لحالة الجزر التى سقطت فيها أمتنا المسلمة منذ ضياع بغداد وسقوط الاندلس ..

فقد بدأ الاعداء من حيث انتهينا وواصلوا التقدم ونحن نتخلف ، حتى كانت الفجوة (١) .. وحين يسترجع المسلمون مواقعهم فسيصبحون قادرين على الابداع كغيرهم ، بدليل أن مئات الألوف من العقول ومن الايدى المسلمة تسهم اليوم فى نهضة الغرب المعاصر ، وأن كثيرين لا يكادون يحصون من الخبراء والعلماء المسلمين قد امتازوا وتفوقوا على نظرائهم من غير المسلمين ، على الرغم من الفوارق الضخمة والملحوظة فى الامكانيات ووسائل العمل ..

• * •

---

١ ـ أنظر : فضل العرب على اوربا أو : شمس الله تطلع على الغرب لسيجريد هونكة

الهدف الثاني:

ضرب الإسلام من الداخل

الهدف الثانى ـ ضرب الاسلام من الداخل :

ان ما سبقت الاشارة اليه من تخطيط الغـــزاة لا يمثل الا الجانب السلبى فى الموقف ، وهو الذى يحقق أخيرا شل فاعلية هذا الدين وعزله وتحديد اقامته داخل دياره .

• * •

أما الجانب الاكبر فى الموضوع فهو التحرك الايجـــابى لضرب هذا الدين داخل حدوده ، وتقويض نفوذه والايمان به بين أتباعه ، وهو يشبه فى العمل العسكرى تصفية قوات العدو بد فرض الحصار عليها ..

وهذا الضرب من الداخل ، وما نسميه نحن الغزو الفكرى ، وان كان لا يعتمد على المواجهـة العنيفة ، ولا يستخدم القوة المباشرة كما فى حالة الغزو العسكرى ، لكنه مع هذا أعظم خطرا وأجـــدى على الغزاة من نواح كثيرة :

١ ـ أنه يفقد المطموع فيهم ـ والمعرضين للغزو فعلا ـ حالة الانتباه اليـه والاستـعداد له ، وربمـــا لا يمكنهم ادراك وقـوعهم فى قبضـــة الغزاة الا بعد فوات الاوان فى أحيان كثيرة .

٢ ـ أنه بهذا التسلل يتفادى جميع أسباب المقاومة التى يمكن أن يتعرض لها فى حالة المواجهة السافرة .

٣ ـ أنه ، بالتسلل ، أيضا يمكن أن يجد له عملاء وأنصارا لا يستنكفون من التعاون معه ، اما بالانخداع حينا ، أو الاطمئنان الى السلامة من تهمة الخيانة حينا آخر ..

٤ ـ أن الغزو الفكرى يسير المؤونة نسبيا ، بينما نتائجه وآثاره أبعـــد مدى من نتائج أى غزو عسكرى ، لأن الغزو العسكرى تنتهى آثاره بانسحاب قوات الاحتلال ..

أما الغزو الفكرى فيستعمر الرءوس والقلوب ، ويبقى مع الناس ما بقيت لهم حياة ..

٥ ـ أن وسائل الغـــزو العسكرى بشعة ومنفرة قوامها الدم والتضحيات والخراب ، بينما وسائل غزو الفكر خادعـــة ومحفـوفة بالشهوات كالطريق الى جهنم ، ولذا فالاستجابة اليها أسرع وأكثر .

٦ ـ غزاة الفكر لا يظهرون ـ غالبا ـ على مسرح العمليات ، وانما يختفون وراء شخوص من أبناء البلاد المغزوة ويعملون من خلالهم في وضح النهار وتحت سمع القانون وبصره ، بل وفي ظل الحماية والتمكين اللازمين .

٧ ـ ان تطور وسائل المدنية الحديثة وما تفتقت عنه العبقريات الشريرة من مستحدثات في مختلف النواحي ، جعل وسائل هذا الغزو الفكري لا تقتصر على أسلوب بعينه بحيث يمكن رصده ومقاومته ، لكنها من الاختلاف والتنوع والشمول بحيث لا يكاد مقاومها يدري من أيها يبدأ ..

وكل هذه الاعتبارات جعلت الغزو الفكري عن طريق التسلل من الداخل أسلوبا تجري ممارسته منذ القرن الخامس عشر الميلادي .

نظرية حصان طروادة :

وقد بدأ استخدام هذا الاسلوب عندما احتدم الصراع بين اليهودية والمسيحية في القرن الخامس عشر ، وجعل اليهود خطتهم تقوم على التظاهر باعتناق المسيحية والعمل لتخريبها تحت هذا الستار ..

وقد شعرت الكنيسة بمؤامرات اليهود ، ولمست انتشار المستحدثات والبدع والأباطيل على نطاق واسع ، وبصورة تشير الى وجود تنظيم سري خلف هذه الظواهر .

وقد أمكن بالفعل العثور على نص الرسالة الجوابية التي أرسلها الحاخام الاكبر لليهود الى رئيس الجالية اليهودية المقيم باحدى المدن الفرنسية ينصحه فيها ـ بعد طرد اليهود من معظم أقطار أوروبا ينصحه فيها باتباع أسلوب (حصان طروادة) ، أي الدخول ـ تحت ستار ـ الى معسكر العدو كما فعل محاربو اليونان القدامى ، الذين دخلوا الى مدينة (طروادة) المحاصرة مختبئين في قلب حصان خشبي ضخم ...

وقد نفذ اليهود ذلك فدخلوا في المسيحية ، واستطاعوا أن يكون منهم القسس والمعلمون والاطباء والمحامون وغيرهم ، وتمكنوا بذلك من أداء الدور التخريبي المطلوب (١) .

---

١ ـ انظر كتاب : الدنيا لعبة اسرائيل ص ٦٤ .

وكما استخدم اليهـود هذا الاسلوب فى محاربة المسيحية من قبل، فقد استخدموه كذلك فى العمل لتقويض الخـلافة العثمانية ، وذلك عن طريق مؤامرة يهود (الدونما) تلك الفئة من يهود سالونيك واسيتامبول، التى اعتنقت الاسلام ، وكان لها دور خطـير فى تحـريف التعـاليم الاسلامية ، ومحاربة كل حركات الاصـلاح حتى يبلغ السيل الزبى ويصل الأمر الى حد الانفجار المطلوب :

ثم كان لهم دورهم الكبير فى حركة الغاء الخلافة وثورة أتاتورك ..

• * •

وسنحاول فى الفصول القادمة بيان أساليبهم فى ذلك ..

أولا :

اثارة الخلافات العقائدية بين المسلمين :

وقد اتبع هذا الاسلوب منذ أن سنحت الفرصة لاستخدامه ضد الدولة الاسلامية ، وذلك بعد استشهاد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وما تبع ذلك من ظهور الخوارج ، وانقسامهم الى أزارقة ، وصفرية ونجدات وأباضية وغيرهم ..

فقد كانت هذه الفتنة الكبرى مجالا لظهور كثير من الدعوات الشاذة التى تعتبر المناداة بها خروجا صريحا على الاسلام كما حدث من (اليزيدية) أتباع يزيد بن أنيسة ، الذى ادعى أن الله ـ سبحانه ـ سيبعث رسولا من العجم ، وينزل عليه كتابا ينسخ الشريعة المحمدية .

من الواضح أن هذه الدعوة تعبير عن نزعات سياسية واقليمية معينة تقوم على الشعوبية الصارخة ، وكأن الامر مجرد توزيع سياسى للمكاسب أو الشرف ، فاذا أخذه الغرب يوما فليكن يوما آخر للعجم .. وما هكذا الاسلام .. ولا هكذا أرسل الله رسالاته .. والقرآن صريح فى بيان هذا المعنى حيث يقول الحق سبحانه :

« واذا جاءتهم آية قالوا : لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته ، سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون » (١)

ومثلهم كذلك (الميمونية) أتباع ميمون القداح ، الذين أباحوا نكاح بنات الاولاد وبنات الاخوة والاخوات ، كما أنكروا سورة (يوسف) وزعموا أنها قصة غرامية وليست من القرآن الكريم .. الخ

فمن شأن هذه الخلافات المتصلة بالعقيدة أن تؤدى الى تأريث العداوات وتوسيع شقة الانقسام بين المسلمين ..

ففى الجانب الآخر ظهر التشيع وغلت بعض فرقه غلوا فاحشا كأولئك الذين قالوا بألوهية على رضى الله عنه .. وقالوا بخلوده

---

١ ـ الانعام ١٢٤

ورجعته ، وكانت لهم مواقف مناهضة للاسلام لا يمكن تعليلها من أناس يزعمون تحمسهم للدين ويتظاهرون بالغلو فى الانتصار لما يسمونه الحق ..

ولقد عانى الاسلام – وما يزال يعاني – من هؤلاء الغلاة المتطرفين الذين أساءوا اليه كما لم يسيء الاعداء ، لأنهم – في الظاهر – كانوا ينتسبون الى الاسلام ، ويظفرون – من ذلك – بالمخادعة والإيمان .. ويتمكنون من التخريب من الداخل الذي لا يستطيعه أعداء الاسلام السافرون ..

• * •

وفي هذا المقام نضع بين يدي القارىء الكريم ما نقله ابن الاثير (١) من كتاب (تاريخ أفريقية والمغرب) للأمير عبد العزيز .. وفيه يقول :

« فلما يئس أعداء الاسلام من استئصاله بالقوة أخذوا فى وضع الاحاديث الكاذبة ، وتشكيك ضعفة العقول فى دينهم .. وكان أول من فعل ذلك (أبو الخطاب محمد بن أبي زينب) مولى بنى أسد (٢) ، وأبو شاكر ميمون ديصان (٣) ، صاحب كتاب (الميزان فى نصرة الزندقة) ، وغيرهما » ..

ثم يمضي في توضيح بعض أساليبهم فى التشكيك وزعزعة العقيدة فيقول :

« فألقوا – يعنى الاعداء وعملاءهم – الى من وثقوا به أن لكل شيء من العبادات باطنا ، وأن الله تعالى لم يوجب على أوليائه ومن عرف من الائمة والابواب (٤) صلاة ولا زكاة ولا غير ذلك ، ولا حرم عليهم شيئا ، وأباحوا لهم نكاح الامهات والاخوات .. وانما هي قيود للعامة ساقطة عن الخاصة » ..

---

١ – الكامل ج ٨ ص ٢١ ط اوروبا

٢ – زعيم فرقة من الغلاة تسمى الخطابيين وكانوا يؤلهون جعفر بن ابى طالب ويحلون شهادة الزور لاتباعهم ويبيحون المحرمات ، وقد بلغ امره جعفر بن محمد فتبرأ منه ولعنه

٣ – زعيم الفرقة « الميمونة » ويعرف بميمون القداح

٤ – الامام والباب : كلمات لها مدلولات اصطلاحية خاصة عند هذه الفرق وكلها ضلال باطل .

ويقول :

« وكانوا يظهرون التشيع لآل النبى صلى الله عليه وسلم ليستروا أمرهم ويستميلوا العامة .

« وتفرق أصحابهم فى البلاد ، وأظهروا الزهد والعبادة ، يغرون الناس بذلك ، وهم على خلافه فى الباطن » ..

* * *

وفى هذا الضوء يمكن لنا أن نعيد قراءة مجموعة من الاحداث الخطيرة التى تعرض لها الاسلام ، منتبهين الى دور الايدى الخفية فى عمليات التخريب ، وندع الحقائق تعرض نفسها بوضوح :

فمن الثابت — تاريخيا — أن الفلول المقهورة لحركة الارتداد التى ظهرت فى جنوب الجزيرة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، هى نفسها التى هربت الى الكوفة واستقرت بها وأخذت تبحث لها عن أدوار جديدة .. ومن هنا كانت (الكوفة) مسرحا لكثير من الاحداث .

ومن المعروف — كذلك — أن بعض الذين كانوا يظهرون شدة التحمس للامام على رضى الله عنه ، وأسهموا فى تطوير الاحداث حتى بلغت ما بلغته يوم (صفين) هم أنفسهم الذين أجبروه على قبول ما لم يكن ليقبل ..

ويذكر (اليعقوبى) فى تأريخه لوقعة (الجمل) أن النصارى قاتلوا فيها الى جانب (على) رضى الله عنه(١).. ! ؟

ومن الثابت — كما يقول الشهرستاني فى (الملل والنحل) أن (عبد الله بن سبأ) كان له دور تخريبى مرسوم بدليل تظاهره والسبئية من بعده بالتحمس لعلى الى حد الزعم بأنه اله !؟ .. وذات مرة قال ابن سبأ لعلى رضى الله عنه : (أنت أنت) ، يعنى أنت الآله .. فنفاه على رضى الله عنه الى (المدائن) ..

فلما مات على رضى الله عنه أظهر ابن سبأ أنه حى لم يمت وأن الجانب الالهى الذى لا يموت وهو الذى يجىء فى السحاب ، وأن الرعد

---

١ — تاريخ اليعقوبى جـ ٢ ص ٢١٣ ط : الوثنا عن « حركات الشيعة المتطرفين » دكتور — جابر الحيتى ص ٢١ ط : دار المعرفة مصر

صوته ، والبرق تبسمه ، وأنه سينزل الى الارض فيملؤها عـدلا كمـا ملئت جورا .. الى آخر الاباطيل ..

ومما يجب الانتباه اليه فى أمر ابن سبأ وأمثاله ما يذكره ابن جرير الطبرى فى التاريخ عن ابن سبأ هذا فيقول :

« كان عبد الله بن سبأ **يهوديا من أهل صـنعاء** ، فأسـلم فى زمن عثمان رضى الله عنه .. ثم تنقل بين بلاد المسلمين يحاول اضلالهم ، فبدأ ببلاد الحجاز ، ثم البصرة ثم الشام ، فلم يقدر على ما يريد عند أحـد من أهل الشام الذين أخرجوه .. فأتى مصر فقال لهم فيما يقول :

العجب ممن يزعم أن عيسى ـ عليه السـلام ـ يرجع ، ويكذب أن محمدا يرجع ، وقد قال اللـه عز وجل : « **ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد** » ..

ثم قال لهم بعد ذلك ـ على ما رواه الطبرى أيضا ـ :

« ان عثمان أخذها بغير حق ، وهذا وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يعنى عليا رضى الله عنه ـ فانهضوا فى هـذا الأمر وحركوه ، وأيدوه بالطعن على أمرائكم ، وأظهروا الأمر بالمعـروف والنهى عن المنكر لتستميلوا الناس » ..

وقد نجحت الخطة وأدت ـ كما هو معروف ـ الى مصرع الخليفـة الراشد ذى النورين رضى الله عنه ، وأدت قبل هذا الى اشعال الفتنـة الكبرى التى ما نزال نعانى من آثارها الى اليوم ..

ثم يأتى (الكاملية) من غلاة الشيعة ، فيكفرون جميـع الصحابة ـ رضى اللـه عنهم وحاشا لهم ـ لأنهم ـ فى زعمهم ـ تركوا بيعـة على .. !؟

ثم يكفرون عليا ـ رضى الله عنه ـ بعد ذلك لأنه ـ فى زعمهم أيضا ـ ترك حقه فى الخلافة وقعد عنه .. !؟

• * •

الامر اذا أمر اصرار على أن تكون بين المسلمين فتنة ، واصرار عـلى تأريث هذه الفتنة واعطائها صورة المذهب والعقيدة ، ولو بلغ بهم الحـال فى تدعيم المذهب المزعوم أن يكذبوا على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وينسبوا اليه ما لم يقل ، حتى تبلغ خطتهم التخريبية غايتها ..

فهل يقبل عقل عاقل أن يكون الدافع الى مثل هــذه التحركات هو نشدان الحقيقة ؟ !! .. محال

لكنها الأحقاد المريرة على الاسلام ..

والتى مزجت بين العصبيات العربية المقهورة ، وبين بقايا يهود خيبر وسلالات يوم الاحزاب ، ثم بقايا الدول التى زلزل الاسلام كيانها ، وأطفأ نيرانها .. واذا هى جميعا تتساند لتنتقم ..

* * *

ومما يجب الانتباه اليه أن اثارة الخــلافات والصراع المذهبى ليس غاية فى ذاته بقدر ما هو وسيلة الى زعزعــة الكيان السياسى والانقضاض على دولة الاسلام ..

وقد تمثل هذا فى تلك الفترة فى مجموعة من القــلاقل الخطيرة التى أشير من بينها الى حركات ثلاث خطيرة هى حــركة (الزنج) وحركــة (القرامطة) وحركة (الحشاشين) ..

* * *

أما حركة ازنج فهى التى قام بها من يدعى (على بن محمد) زاعما أنه علوى النسب ، واستمال اليه العبيد بالبصرة ونواحيها ، واستفحل أمره حتى هاجم البصرة عام ٢٥٧ هـ وأحدث بها من الفظائع ما لايمكن تصوره ، الى الحد الذى سجله ابن الرومى فى قوله المشهور :

ذاد عن مقلتى لذيذ المنام ، شغلها عنه بالدموع السجام
أى نوم من بعد ما حل بالبصرة ما حل من هنات عظام
أى نوم من بعد ما انتهك الزنج جهارا محارم الاســلام
ان هذا من الامــور لأمر ، كاد ألا يقــوم فى الافهام

ويستمر بأس هــذه الحركة بالمسلمين طوال أربعة عشر عاما حتى قضى عليها فى زمن (الموفق) عام ٢٧٠ هـ بمعاونة كبار القواد المخلصين من أمثال (ابراهيم بن المدبر) و (موسى بن بغا) و (أبى العباس بن الموفق) وغيرهم ..

* * *

لكن المسلمين ينبغي الا يتركوا في أمن .. ولذا ما تكاد تمضي سنوات ثمان حتى تظهر في عام ٢٨٠هـ جماعة « القرامطة » الذين كان ابتداء ظهورهم بسواد الكوفة ، وظهرت منهم جماعة في « البحرين » عاثت في الارض فسادا وهددت المسلمين في كل موقع تناله أيديهم ورماحهم، بل لقد تمكنت جماعة منهم في عام ٣١٧ هـ من دخول مكة ونهبت الحجاج وقتل الكثيرين منهم (١) واقتلاع الحجر الاسود من مكانه ، وحملته معهم الى «هجر» ولم يعيدوه الا بعد تهديد من « المهدي » الخليفة الفاطمي الذي كتب الى زعيمهم يقول له :

« لقد حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والالحاد بما فعلت وان لم ترد على أهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما أخذت منهم وترد الحجر الاسود الى مكانه ، وترد كسوة الكعبة فأنا بريء منك في الدنيا والاخرة » .

•◉•

أما الحشاشون وهم من الباطنية ـ فقد ظهروا أولا أيام ملكشاه السلجوقي ، وكان يتزعمهم « الحسن بن الصباح » الذي استولى على قلعة الموت من نواحي « قزوين » وجعلها مقر الحاكم الاسماعيلي ، وظل أمرهم يتعاظم حتى سنة ٥٢٠ هـ حيث استولوا على « بانياس » في الشام وعلى غيرها . وكان خطرهم على المسلمين في المنطقة أشد من خطر الصليبيين الى الحد الذي جعل البطل الاسلامي العظيم صلاح الدين يهادنهم ريثما يفرغ من عدوه .

ولم يفرغ العالم الاسلامي من هذه الفرقة ألا بحدوث الطامة الكبرى التي نزلت بسقوط بغداد في ايدي التتار سنة ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م .

•◉•

---

١ ـ أنظر صورة ملخصة لذلك في البحث الذي قدمه الاستاذ ـ عبد القادر شيبة الحمد لمؤتمر المنظمات الاسلامية العالمية المنعقد بالامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة عام ١٣٩٤ هـ بعنوان الحركات المعادية للاسلام .

وانظر كتاب « الحركات المعادية للاسلام قديما وحديثا » من منشورات وزارة الحج والاوقاف السعودية .

ثانيــا :

افساد صفاء العقيدة واغراقهــا في متاهات التشكك ـ

وقد حدث هذا عندما ترجمــت الكتب الفلسفية فى العصر العباسى، وغزت الفكر الاسلامى بكثير مــن المنازع الفلسفية والمذاهب الملحدة في في تفسيراتها للكون والمادة ، وما وراء الطبيعية .. الخ مما ادى الى ظهور بعض المتشككين الذين كانوا ينزعون فــى الشك منزع السوفسطائيين مــن الفلاسفة .

ولو وقف الامر عند حد الاطـلاع على افكار الاخرين والافادة منها فــى الرد على خصوم الاسلام لما كان هناك من بأس ..

لكن الامور كانت تستغل بخبث لاثارة الشك والفرقة بين المسلمين، بحيث تتمزق وحدتهم ثم يكــون بأسهم بينهم على الدوام ..

•◉•

وان مما يتألم له الباحث الاسلامى المعاصر أنه ولما يمض على ظهـــور الدعوة الاسلامية سوى قرنين تقريبا .. أن يتعرض عالم جليل كالامـام احمد بن حنبل وغيره لما تعرضوا من الايذاء والمهانة فى الفتنة الشهيــرة التى عرفت فى التاريخ باسم «محنة خلق القرآن » .

فلقد كان الاصل الا يثار مثل هذا الموضوع ، فضلا عن أن يصبح قضية تشغل بها الدولة ، الى درجــة أن يترك أحد الخلفاء وصيته لمن بعده بألا يتهاون فيها ..

بيد أننا لو تفحصنا التاريــخ لظهرت لنا الاصابع المخربة التــى تقف وراء تحركات الهدم .

فمما يحفظه التاريخ لحركـــات الغلاة ومتطرفى الشيعة تلك التــى قادها « الجعد بن درهم » والتــى اتخذت طريق انكار الكثير مما جـاء فى القرآن الكريم ، ثـم تفسير بعض ايات الكتاب وفق أهواء هذه الحركة .

وانتهى أمر « الجعد » على يــد خالد بن عبد الله القسرى ، الــذى ضحى به فى أحد أيام النحر وخطب يومها :

« من كان منكم يريد أن يضحى فلينطلق ، فليضح • فبارك الله له فى أضحيته ، فانى مضح بالجعيد بن درهم ، زعم ان الله لم يكلم موسى تكليما ، ولم يتخذ ابراهيم خليلا ، سبحانه وتعالى عما يقول الجعد علوا كبيرا » ثم نزل اليه فذبحه (١) •

• * •

فقام من بعده تابعه « بيان بن سمعان التميمى » فكان كما يقول ابن قتيبة « أول من قال بأن القرآن مخلوق » (٢)

• * •

ثم تشير المصادر الى شخصية أخرى من النصارى ؟! هى شخصية يوحنا الدمشقى ، الذى كان يعمل فى خدمة الامويين الى عهد هشام بن عبد الملك •

ويروى عنه أنه كان يعلم المسيحيين كيف يستدرجون المسلمين الى التورط فى مسألة « خلق القرآن » بأن يحاورهم على النحو التالى :

يبدأ المسيحى فيقول للمسلم : بم سمى المسيح فى القرآن ؟

فاذا قال المسلم : « **انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه** » (٣)

فيسأله النصرانى : وماذا ترى فى كلمة الله ؟ أمخلوقة هى أم غير مخلوقة ؟

وهكذا يجره الى الموضوع الشائك الذى شغل به الناس زمانا ، مستدرجين جميعا الى شباك الاعداء •

• * •

وكان من الممكن ألا تجوز مثل هذه الدسائس على المسلمين ، وخاصة أولى الرأى منهم ، لكن أصابع التخريب الخارجى من ناحية ، وعناصر الضعف والعمالة والخضوع لشهوات النفس بين المسئولين المسلمين من ناحية ثانية هى التى هيأت المناخ الملائم لتفريخ الفتنة كى تبلغ مداها •

---

١ ــ الخطيب البغدادى : بغداد ج ١٢ ص ٤٢٥ •

٢ ــ ابن قتيبة عيون الاخبار ج ٢ ص ١٤٨ ط : دار الكتب • عن كتاب حركات الشيعة المتطرفين ص ٤٢ •

٣ ــ النساء ــ ١٧١ •

ذلك أن الغزو الفكرى كالمرض تماما لا ينفذ الا الى الجسم الذى أصيب بالهزال وفقد مناعته وطالما كانت العقيدة الاسلامية صحيحة فى النفوس ،والحفاظ عليها موجودا فان جهود الغزاة تمضى مع الرياح ٠٠ لكن اذا ضعفت الغيرة وتمكن المخربون من الوصول الى قلاع الدفاع فهنا تكون الكارثة ٠

ولهذا كان العصر العباسى ـ واقعا وتاريخا ـ من أخصب العصور للتلقيح ببذور الغزو ، لانه العصر الذى كانت فيه سيطرة النفوذ الفارسى بحضارته وتقاليده غالبة وممكنة ، فأصبح الفساد أمرا مألوفا ونامت الغيرة على الدين ، وتجرأ المفسدون على المحارم كما لم يحدث من قبل فى تاريخ الدعوة ٠ ثم هو العصر الذى شاع فيه استخدام المجوس والنصارى ، ووصولهم الى أرقى مراكز الدولة ٠٠

واذا كانت « محنة خلق القرآن » قد ظفرت بالانتباه فما ذلك الا لانها أخذت ابعادا سياسية ، وشارك فيها بعض الخلفاء أنفسهم ٠٠ لكنها لم تكن المحنة الوحيدة فى هذا العصر أو بتعبير اخر : لم تكن المحنة الواحدة ذات الطابع الفكرى ٠٠

٠ ✱ ٠

فبوسعنا مثلا أن نعتبر المحاولة المنسوبة الى الكاتب الشهير «عبدالله ابن المقفع » ضربا من محاولات التخريب الفكرى فى فترة من الفترات ٠٠

وسوف أعرض هنا لكتاب « الدرة اليتيمة » المنسوب اليه ، والذى بقيت منه فقرات تدل على دور الرجل وما فى فكره من زيغ حاول أن ينشره ، وان كانت الظروف لم تساعده ٠

يقول القاسم بن ابراهيم فى كتابه « الرد على الزنديق » اللعين ابن المقفع عليه لعنة الله آمين » (١) انه يرد على كتاب لابن المقفع قال فى وصفه :

---

١ ـ نشره الاستاذ ميخائيل جويدى سنة ١٩٢٧ م وأثار نشره مجموعة من التعليقات والبحوث شارك فيها الدكتور احمد امين مدافعا عن ابن المقفع ثم الدكتور عبد اللطيف حمزة مثبتا المتهمة عليه والقاسم بن ابراهيم توفى سنة ٢٤٦ هـ

« فوضع – يعنى ابن المقفع – كتابا أعجمى البيان ، حكم فيه لنفسه بكل زور وبهتان، فعاب المرسلين ،وافترى الكذب على رب العالمين ، فرأينا من الحق أن نضع نقضه بعد أن وصفنا من قول «مانى»(١) «بعضه»

ومن الفقرات البشعة التى نقلها صاحب الكتاب المذكور عن كتاب ابن المقفع – الذى لم يصلنا – قول ابن المقفع وهو يتحدث عن مقام الحق سبحانه وحاشا له :

« انقلب عليه خلقه الذين هم عمل يديه ؟! ، ودعا كلمته ونفخة روحه فعادوه وسبوه وآسفوه .

« وانشأ – تعالى – يقاتل بعضهم فى الارض ، ويحترس من بعضهم فى السماء بمقاذفة النجوم ، ويبعث لمقاتلتهم ملائكته وجنوده » (٢)

• ★ •

واذا كان هذا القول يعتبر تحديا للاديان كلها فمن الواضح أن القران بالذات هو المقصود هنا بدليل ما تشير اليه العبارات المنسوبة لابن المقفع ، من النخصوص القرآنية ..

فقوله « وآسفوه » اشارة الى قول الحق سبحانه فى القرآن :

« **فلما آسفونا انتقمنا منهم** » (٣)

وقوله أنشأ يقاتل بعضهم فى الأرض يمكن أن يكون اشارة الى قوله سبحانه **فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى** .. (٤)

وقوله « ويحترس من بعضهم فى السماء » يمكن أن يكون اشارة الى قوله سبحانه « **وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا** » (٥)

وقوله : ويبعث لمقاتلتهم ملائكته وجنوده » يمكن أن يكون اشارة الى قوله سبحانه :

---

١ – المقصود به صاحب الفرقة المانوية المعروفة .

٢ – كتاب الرد على الزنديق اللعين لابن المقفع ص ١٧

٣ – الزخرف – ٥٥

٤ – الانفال – ١٧

٥ – الجن – ٨و٩ .

« اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين • بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » (١)

واذا فالتهكم موجه الى القرآن دون غيره •

ولهذا لا نستغرب قول الخليفة العباسى المهدى « ما وجدت كتاب زندقة الا وأصله ابن المقفع » (٢)

ويؤيد هذا ما روى عن ابن شبة أنه قال : « حدثنى من سمع ابن المقفع وقد مر على بيت نار ، بعد أن أسلم فتمثل بقول الشاعر :

يا بيت عاتكة الذى أتعزل حذر العدا ، وبه الفؤاد موكل
انى لامنحك الصدود واننى قسما اليك ـ مع الصدود لاميل

• * •

ومن نوع ابن المقفع يأتى دور الشاعر المتهتك **بشار بن برد** ذلك الشعوبى الحاقد على الاسلام، والذى وجد متنفسه فى اعتناق ما يراه « الكاملية » من « الرافضة » من تكفير الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين •

ومن المعروف عنه أنه دان بالرجعة ورأى رأى ابليس فى تفضيل النار على الطين • والنار عند المجوس مقدسة كما نعلم ، وفى هذا يقول بشار :

الارض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

ويقول فى بعض شعره :

ابليس خير من أبيكم آدم والطين لا يسمو سمو النار

فالانتصار للمجوسية واضح فى شعره مما أحفظ عليه كثيرين من الشعراء فهجوه وردوا عليه • وكانت له النهاية المعروفة •

• * •

---

١ ـ آل عمران ـ ١٢٤ و ١٢٥

٢ ـ وفيات الاعيان ط : بولاق فى ترجمة الحسين الحلاج •

واذا كان خطر ابن المقفع يتمثل فيما نقل عن الفارسية من أفكار يكمن فيها الخطر المجوسى فان رجلاكبشار كان ذا خطر مباشر بما دعا اليه من التهتك والاباحية والانتقاض على محارم الدين .

وكانت قوة عارضته وحلاوة شعره مما أعاناه على ذلك ، فكان شعره تحريضا فاضحا على الفجور والخنا ، ودعوة الى مذهب اللذة واللا مبالاة والتحلل من كل القيود والقيم ..

وبلغ به خبث الطوية أن كان يحض الشباب علانية على الفجور . وفى هذا يروى عن « سوار بن عبد الله » و «مالك بن دينار قولهما:

« ما شيء أدعى لاهل هذه المدينة ـ يعنى البصرة ـ الى الفسق من أشعار هذا الاعمى »

وليس أدل على ذلك من أن تبقى لبشار مدرسة أدبية قوامها التحلل والاباحية والاستهانة بكل المحرمات والقيم ومن أعمدتها : أبو نواس ، والحسين الضحاك المعروف بالخليع وسلم الخاسر ، وابن مناذر ، والرقاشى وغيرهم من المجان .

* * *

ولقد يظن أن انحرافات هؤلاء الشعراء المجان ليست سوى ضرب من الانحراف الفردى الذى لا ينبغى حمله على التخريب المقصود .

لكن ظهور هذه المدرسة البشارية فى المناخ الذى ظهرت وفى الظروف المجتمعة التى كانت فيها العقيدة الاساسية للاسلام تتعرض للكيد والمناهضة يجعل من واجب المفكر ملاحظة مواقف هؤلاء الشعراء وأدوارهم ، حتى ولو كانوا مجرد عصاة منحرفين غير مرتبطين بتخطيط عام .. لاسيما وأن النظائر فى كل عصر تدل على ذلك ..

فكأن الامر كان حلقة متكاملة يأخذ كل فيها بالنصيب الذى يستطيع الاسهام به فمنهم من يصطنع المجال الفكرى . ومنهم من يصطنع مجال التفلسف ، ومنهم ـ كهؤلاء ـ من تكون سبيله أبيات الشعر وفنون التخلع ، والكل فى النهاية يتعاونون فى محاولة نقض جدار العقيدة حجرا وراء حجر .

* * *

وليس أدل على ذلك من ظهور طائفة المخنثين التى لم تكن تبالى بفجورها ، وتخرج على الناس دون حياء ، تمارس رذائلها وتذيع الفاحشة بين الناس .. وتقدم المثل الواقعية للاستهانة الصارخة بكل المقدسات والقيم ..

* * *

ومثل هذا المناخ هو أنسب المناخات للانقضاض المعادى ، وبالفعل كان هذا مقدمة طبيعية للعصف بدولة الاسلام على يد التتار كما هو مشهور .

* * *

واذا جاز لنا أن نقارن بين الليلة والبارحة ، ونظرنا فى مخطط الغزاة اليوم فسنلفيه استمرارا فى المنهج ــ لما كان عليه المخربون الاقدمون الذين يعملون بوسائلهم لاضعاف سيطرة العقيدة على النفوس عن طريق التحلل وكسر حواجز الفضيلة فى المجتمع ومن ثم يسهل الانقضاض والاحتلال

* * *

تيار الاسرائيليات فى مصدرى الشريعة :

ويتصل بما سبق من محاولات الغزاة لافساد صفاء العقيدة واغراقها فى متاهات الشك ذلك التيار الباطل من الخرافات والاضاليل التى نشرها اليهود فى مجتمع المسلمين ، ثم تلقفها بعض المؤلفين دون فطنة أو تمحيص فكانت لها آثارها المؤذية

وأضع هنا بين يدى القارىء الكريم قول احد الباحثين المنصفين فى هذا الموضوع (١)

« ان اعداء الاسلام ــ ومنهم اليهود ــ هالهم ما للاسلام وأهله من قوة فتربصوا به الدوائر ، ووقفوا فى طريقه يحاربونه ويصدون الناس عنه ، ولكن الاسلام بصدق تعاليمه لم تقم فى وجهه لاعدائه حجة ، والمسلمون بقوة يقينهم ، لم تعطل مسيرتهم الظافرة وفتوحاتهم الباهرة جيوش أعدائهم على كثرتها وقوتها الامر الذى جعل أعداء الاسلام والحانقين عليه من اليهود وغيرهم يبحثون عن طريق آخر يصلون به الى النيل من الاسلام وأهله .

---

١ ــ الاستاذ محمد حسين الذهبى فى كتابه « الاسرائيليات فى التفسير والحديث » ص ٤١ من منشورات مجمع البحوث الاسلامية بالازهر .

فتفتقت عقولهم الماكرة وقلوبهم الفاجرة عن مكر سيء وخداع بشع ، فتظاهر نفر منهم بالدخول في الاسلام وقلوبهم منه خاوية ، وتشيعوا لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدورهم على الحقد طاوية واستغلوا عواطف المسلمين وحبهم لآل بيت الرسول عليه السلام . فانشحوا بالسواد ، وسكبوا دموع التماسيح حزنا وأسى على مازعموا من ظلم آل البيت ، وغالوا في تقديرهم وتقديسهم حتى وصلوا بهم الى مراتب النبوة ، أو يزيد .. وصوروا أبا بكر وعمر وعثمان — رضي الله عنهم — غاصبين للخلافة التي هي حق على رضي الله عنه وذريته من بعده ، ووضعوا في ذلك أحاديث غريبة ، ونسجوا فيه قصصا عجيبة معظمها منتزع من أصول يهودية .

« واليهود : قوم ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم قلوب الذئاب ، فمن السهل عليهم أن يحبكوا القصة في خبث ومهارة حبكا تاما ، ثم يذيعونها بين أوساط العامة ، ومن يستخفونهم من البسطاء والجهلة فاذا بها قد شاعت وانتشرت ، ثم تلقفها الناس بعد ذلك منسوبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله منها ومن قائليها براء »

. * .

وهذه الاسرائيليات التي انسابت الى بعض كتب التفسير ، والتي أدت الى اختلاق أحاديث مكذوبة ونسبتها الى المصطفى صلوات الله عليه .. انما يكمن خطرها في أنها :

تثير الشكك والبلبلة فيما جاورها من الصحيح ، وهذه عملية تخريب بالغة يمكن أن ندرك آثارها اذا تصورنا ما يستخدمه المحاربون في عصرنا من وسائل التعمية باستخدام نماذج زائفة ومشابهة الى حد كبير للاهداف الحقيقية فتكون النتيجة أن يختلط الامر على المقاتل بين الزيف والصحيح .

واذا وقع الشك في النفوس فتلك محنة غير هينة ، ولذا تصدى كثيرون من السلف الصالح للتنبيه على ذلك وتبيان وجه الحق فيه وكان من آثار ذلك أيضا ظهور ذلك العلم العظيم النفع الذى عرف باسم «مصطلح الحديث » ووضعت فيه الاسس المنهجية الرفيعة لنقد الرواية والرواة

وجدير بالاشارة أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قد فطن مبكرا الى خطر الاستماع الى مثل هذه الاسرائيليات أو رواياتها فنهى — كعب الاحبار — عن التحدث بمثلها الى الناس وقال له قولته :

« لتتركن الحديث عن الاول ،أو لالحقنك بأرض القردة » (١)

• ✻ •

كما أدت هذه الاسرائيليات كذلك الى القاء ظلال من الشك والريبة على غير واحد من رواة الحديث النبوى- وهذا خطر - من مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وغيرهما ، والشك في الراوى معناه الشك في الرواية ، ومعناه اخيرا الشك في صحة المصدر التشريعى وسلامته ، وهذا - كما أشرت - ما يتمناه العدو •

• ✻ •

واذا كان انتشار الوعى العلمى بين مثقفى المسلمين يعصم - الى حد كبير - من التورط فى متاهات هذه الإسرائيليات ومخاطرها ، فمما لاشك فيه أن القادرين على التمييز قلة ، والغافلين كثر ، وفى هذا ما يعرض عقائدهم للبلبلة ، أو يسلمهم الى الخرافات من ناحية ..

كما يلقى على النقدة المستنيرين عبء التصحيح والغربلة ، وفى هذا تبديد لجهد ثمين ، وتصنيييع لطاقات الدعاة فى مجالات كان أولى أن تصرف فيما هو أجدى وأكثر ايجابية • تماما كما يصنع المحاربون الألغام والاسلاك الشائكة فى طريق عدوهم ليعطلوا مسيرته ، ويبددوا بعض طاقاته فى غير هدفه الاساسى •

• ✻ •

واذا كان المعروف لدى كل باحث منصف أن الاسلام هو دين الرؤية الصحيحة لحقائق الكون والحياة ، ودين التوجيه العظيم فى كل المشكلات البشرية للافراد والشعوب •

اقول اذا كان ذلك هو المعروف لدى المنصفين ، فان ظهور الاباطيل والخرافات فى بعض مصادره مما يؤدى الى امكان الزعم بان مصادر التشريع فيه غير علمية أو غير معقولة ، والزعم كذلك بأنه دين تهويمات لا يحترمها العقل ، ولا تسلم بها مقاييس العلم ..

وهذه غمة تحتاج فى تبديدها الى جهود وجهود ما كان أغنانا عنها وما كان أولى بها أن تبذل فى التنمية والبناء •

---

١ - البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ١٠٨ عن كتاب الإسرائيليات فى التفسير والحديث ص ١٢٨

واذا كانت الاسرائيليات القديمة قد قيض الله لها من النقدة الغيورين ما حدد حجم خطرها وحاصرها ودل على خباياها .. فان الغزاة المعاصرين لايزالون يصطنعون اسلوب الاسرائيليات فى شكل يناسب طبيعة العصر ، وليس بخاف ولا مجهول ما نفاجأ به من طبعات مريبة للمصحف الشريف ، تحذف فيها مثلا الآيات التى تفضح خلائق اليهود ، أو تحرف فيها آيات عن مواضعها أو ما الى ذلك .. مما يستوجب المزيد من اليقظة والانتباه ..

* * *

ثالثا : اصطناع عصبيات جديدة بدل عصبيات الجاهلية -

وذلك أنه لما ضعف شأن العصبيات القبلية أولا بفعل الاسلام وثانيا بفعل الثقافة والعلم ، ورأى الاعداء ، أن ذلك يعنى انصهار الدولة الاسلامية فى اطار الوحدة المتجانسة .. أخذوا فى اصطناع عصبيات جديدة متطورة تناسب ومستوى العصر .. ليصلوا ثانية الى التمزيق والتفريق .

وكانت سبيلهم الى ذلك اذكاء النعرات الاقليمية والمحلية عن طريق الشعار الذى عرف فى الغرب باسم « القوميات » ثم بدأ تصديره الى الشرق .

* * *

ولو كان القصد من ذلك اذكاء الروح الوطنى وتنشيط الحماس للعمل الكبير من أجل الامة الاسلامية لما كان هناك بأس .. على نحو ما كانت تتمايز القبائل أو الفرق العسكرية فى الحرب ليعلم بلاؤها .

لكن الامر كانت له وجهة أخرى . ظاهرها : تأكيد استقلال الشعوب وتمييز شخصياتها .

وباطنها - تمزيق وحدة الشعوب المسلمة وتحويلها الى دويلات متنافرة ومتناحرة ..

* * *

وبعد أن كان الاسلام ذات يوم هو « الجنسية » التى ينضوى تحتها كل المسلمين ، سحبت هذه « الهوية » لتحل محلها النعرات والنزعات الاقليمية ، التى لا يخفى ما تصيب به النفسية المسلمة من الاحساس بالعزلة وعدم التضامن مع بقية المسلمين ، وهو أمر له أثره الخطير

الذى لا نلمسه الا عند الازمـــات والمصاعب . بالاضافة الى ما يصنعه التعارض بين « القوميات » من فتن وخلافات ..

ولنأخذ على سبيل المثال موقف دولة الخلافة « تركيا » التى كانت قبل النعرة القومية تمثل العالـــم الاسلامى ، وتظفر بولاء شعوبه وتعاطفها ..

فلما ولى أمرها دعاة «الطورانية» لم ينظروا الى العالم الاسلامى باعتباره أمة كبرى هم جزء منها وانما نظروا اليه باعتباره مجموعة أخرى من القوميات يجب أن تسودها القوميـة «الطورانية» ومن هنا كانت نزعة « التتريك » التى أدت بالطبع الـى الصدام الحاد ، مع طبائع القوميات الاخرى . وما كان لذلك من الاثـار والنتائج المخيبة للامال ..

. * .

ومثل ذلك ما أراده الغزاة بالنسبة لبلدى « مصر » التى حاولوا دائما ردتها الى الاقليمية القديمة أيام كانت تحت حكم الفراعنة ، بحجة أن هذا يعنى « التأصيل » وربط البلـــد بتاريخها الحضارى العريق .. لكن هذا حق أريد به باطل ، فالهدف هو عزل مصر عن بقية شقيقاتها فى الاسلام والعروبة ، واقصاؤها عـن التأثر والتأثير فى محيطهما ، والقاء نظرة عاجلة على دعاة «الفرعونية» فى مصر يكشف نواياهم .. فمعظمهم من النصارى ، وبقيتهم من الذين ربـوا على ايدى الغربيين وجمعتهم الطريق بشكل أو باخر ..

واذا كانوا يريـدون ردة «مصر» الى الفرعونية فلما لا يرتد الشام الى الفينيقية ، ويرتد العراق الـــى الاشورية ، وترتد الفرس الى أيـام «قورش» وهكـذا .. ممـا يعنى فى النهاية أن تعود الجاهلية من جديد فى شكل اخر يجد الغزاة فى ظلـه فرصتهم الرائعة فى العمل والتخريب

ولعل ما حدث أخيرا وقريبا فـى القطر الاسلامى العزيز باكستان مـا يكشف عن خطر هذه النعـــرات الاقليمية والعرقية على وحدتنا وعلى تضامننا الاسلامى ، ويبين أنه بينما كان الاسلام هو الذى وحد باكستان ورفع رايتها جاءت «القومية» لتمزقها وتنفذ فيها مارب الاعداء .

وفى هذا يقول البروتوكـــول الخامس من بروتوكولات حكمـاء صهيون : « لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره فى جميع أغـراض

الاميين « أى غير اليهود » الشخصية القومية ، بنشر العصبيات الدينية والقبلية خلال عشرين قرنا » (١)

رابعا : طرح النظريات والافكار المناهضة للدين :

يعلم الغزاة جيدا أن الانسان لا يمكن أن يعيش — من الناحية الروحية — فى فراغ .. ومعنى هذا أنهم اذا كانوا يريدون أن ينزعوا من النفس ولاءها للاسلام أو لغيره من الاديان فعليهم أن يقدموا له البديل الذى يسد الفراغ من ناحية ويزعزع العقيدة الاصلية من ناحية ثانية :

* * *

ولما كانت للدين قدسيته فى النفوس عادة فان الغزاة لم يقدموا نظرياتهم الجديدة على أنها البديل الصريح عن الدين ، وانما استداروا بذكاء ليرفعوا شعارا غايته مناهضة الدين ووسيلته لاتبدو كذلك .. أو على الاقل لا تنير لدى المتدينين طبيعة الدفاع عن دينهم .. .. وكان ذلك فى الشعار المشهور الذى روج فى عالمنا الاسلامى وأطلق عليه تعبير « العلمانية » ..

وتعنينى هنا الاشارة الى أن تعبير العلمانية هو الاصطلاح الخادع الذى استخدم بدلا من عبارة « اللادينية » والتى هى التعبير الاصلى لشعار الحركة المناهضة للدين والتى ظهرت فى أوربا فى ظروف لا مشابهة مطلقا بينها وبين عالمنا الاسلامى .

* * *

وخلاصة الاتجاه « العلمانى » حسب الشعار المرفوع وليس حسب الحقيقة المستكنة وراءه أن الانسان لا ينبغى أن يؤمن بشىء الا من خلال مدركاته الحسية ، أو من خلال التجارب والاعمال العلمية ..

والكلام ظريف .. لكنه فى الحقيقة غير علمى ..

فمن الثابت أن قدرات الحس البشرى محدودة .. والمحدود لا يصلح مقياسا للاحاطة بغير المحدود . .وعلى سبيل المثال ..اذا كان مدى بصر الفرد المقيم فى مكة المكرمة لايمكنه من أن يرى مدينة «جدة» أو «المدينة المنورة» فهل معنى ذلك أنهما غير موجودتين ؟! الجواب لا .ومعنى هذا أن الحس قاصر ، ولا يصلح للتقرير .

---

١ — البروتوكولات : ترجمة خليفة التونسى ص ١١٦

ومثال آخر .. لو قلنا لرجل من أهل البادية المنقطعين عن الدنيا .. ان في الجو من حواليك أصـــوات رجال يعزفون الموسيقى ويذيعـــون أخبار العالم .. فهو قطعا لن يصدق بذلك لانه لا يسمع من حوله شيئا .. فهل عجزه عن ادراك هذا الشيء الذى اصبح من البديهيات ينفـــي وجودها ؟

الجواب : لا .. وانما يعني أن الحس وحده قاصر ، ويحتاج عنـــد التقرير والحكم الى عوامل مساعدة.

ففي موضوع البدوي الذى أشرنا اليه لايحتاج الامر الى اكثر من جهاز راديو ترانزستور نحرك مفتاحه أمام عينيه ، وحين يسمع الى الاخبار أو الموسيقى والغناء سيتبين له أن ثمة عوالم تحيط به .. وان كان لا يراها ولا يحس بها ..

* * *

والقضية مع أصحاب «العلمانية» لاتكاد تختلف ، فهم في محاولاتهم اعلاء شأن المدركات الحسية واعتبار «المختبر» وحده السبيل الى تقريـــر الحقائق ..

هم في هذه الا يختلفون عن ذلك البدوي .. لان وسائطهم مهما تطورت لاتزال محدودة وعاجزة ، وهي بهذا لا تصلح للحكم الا فيما يدخل فـــي نطاق احاطتها ، بينما يبقى المغيـــب بالقياس اليها مجهولا .. وان كـــان جهلها به لا يلغي وجوده ..

ومن هنا يحتاج الامر الى الوسائط ذات القدرة القادرة ، وتلكم هـــي رسالات السماء التي أرسلها الحـــق سبحانه الى عباده على يد المصطفيـــن من أنبيائه ورسله ..

وقد جاء الرسل بالكتب السماوية ليكملوا للبشر رؤيتهم العاجـــزة ، ويهدوهم الى ما يستحيل عليهـــم ادراكه بوسائط الـــحس البشري المحدود ..

تلك هي القضية ببساطة متناهية .

وترتيبا عليها أقول : أن الذيـــن يؤمنون بالغيب اكثر علمية وموضوعية وأسلم منهجا من الذين لا يؤمنون الا بنتائج التجربة في «المختبرات» .. لان تجارب «المختبرات» تقوم عـــلى الشيء المحسوس .. والمحسوس ـ كما تؤكد الاحداث كل يوم ـ ليس هو كل شيء ، ففي كل لحظة جديدة

يكتشف العلم جديدا ، ويضيف الى معارفنا أخبارا وأمورا مذهلة عن الكون والحياة والآجرام والسماوات والنجوم .

وهذه الاشياء كلها قبل أن نقف على أخبارها .. كانت غيبا .. أعنى كانت مجهولا بالنسبة الى أهل المراصد و « المختبرات » ومعنى هذا أن انكارهم لها فى الماضى كان عجزوكان قصورا فى الاستقراء والاحاطة

بينما الذين يؤمنون بالغيب ممن آمنوا بالله وكتبه ورسله .. سلموا بوجود هذه الاشياء ويسلمون بأن ملايين الاشياء والاسرار موجودة وان لم نقف على خبرها بعد ..

. * .

ولست هنا بصدد مناقشة هذه الأفكار والنظريات ، فربما عدت لمثل ذلك فى كتاب اخر لكن ما يعنينى التنبيه اليه هو زيف دعوى العلمانية التى رفعها القوم شعارا خادعا لمحاربة الاديان وماهى من العلم فى شيء ..

ويعنينى كذلك تنبيه بعض اخواننا من المثقفين المسلمين الذين بهرتهم مكتشفات الحضارة والعلم فاصيبوا بلون من التوقف فى طرائق التفكير ، وأصبحوا كالمنومين نفسيا أمام حكاية ــ العلم ــ و ــ الحضارة ــ و ــ الوارد من الغرب ــ .

. * .

وبهذه المناسبة أحب أن أقرر ماهو معروف لكل منصف من أن الاسلام لايعادى العلمية بمعناها الاصيل الذى شرعه القرآن الكريم واعتبره المدخل الاكبر والاوحد الى خشية الله بل حين اعتبر العلماء الاصلاء المخلصين وحدهم الذين يستطيعون الارتقاء الحق الى مستوى خشية الله بكل ما يترتب على هذه الخشية من خصائص فى التفكير والسلوك ، وذلك فى مثل قول الحق سبحانه :

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفة ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ... (١)

---

١ ــ فاطر ــ ٢٧و٢٨

والعالم العامل مفضل على العابد من غير العلماء ، ولا تضع الملائكة أجنحتها لاحد فى الاسلام كما تضعها لطالب العلم ، ونحن مأمورون بطلب العلم من المهد الى اللحد ، ومأمورون كذلك بأن نطلب العلم « ولو فى الصين » أى البحث عنه وتحمل المشاق فى سبيله بكل سبيل

ومن حسن التوفيق أن الاسلام ـ بين الاديان القائمة جميعا ـ هو الدين الذى لاينافى العلم ولا يعاديه، بل يكرمه ويرفع درجات أهله ، والقرآن صريح فى التنبيه الى أن الذين يعلمون والذين لايعلمون لا يمكن أن يستووا ..

• * •

لكن ميزة العلم وخاصيته فى الاسلام أنه علم أخلاقى وبناء ، و « البوصلة » التى توجه العلم فى الاسلام مضبوطة على ناحية الخير ، فاذا انحرف بشكل ما الى الشر فقد صفته التى يستحق التكريم عليها .

والخلاصة أن العلم عندنا لايعادى الدين بل هو من صميمه . أما علمانية القوم فهى دعوة صريحة الى «اللادينية» وقد نشأت عندهم لظروف ليس منها عندنا شىء ، ومن ثم فهى لا تصلح فى ظل شريعتنا لافتقاد الدوافع اليها ..

لكن القوم ..كما أشرت استغلوا انبهار ـ الشرقيين عامة والمسلمين بوصف خاص بمنجزات الحضارة الحديثة ، ورفعوا شعار «العلمانية» واستخدموه لضرب الاديان عامة وديننا بوصف خاص ، وتحت شعار العلمانية صدروا الينا النظريات التالية :

• * •

أ ـ نظرية النشوء والارتقاء :

وقد عرفت هذه النظرية تاريخيا باسم نظرية « داروين » وهى مؤسسة على الزعم بأن الانسان ماهو الا كائن قد تم تطوره ـ عبر آلاف أو ملايين السنين ـ عن حيوانات آخرى ، وخاصة عن «القرد» .

وبعد داروين جاء « نيتشة » ليقول: ان الانسان ماهو الا قنطرة بين «القرد» و «السوبرمان» .

ولقد ظفرت هذه النظرية بتركيز دعائى ، الهدف منه نقض ما يقرره القرآن الكريم وكذا الاديان السماوية جميعا من أن الانسان صنع الخالق وحده سبحانه .. ومن ثم تكون هذه مقدمة لانكار وجود الخالق نفسه .

ويعقب الاستاذ عباس العقاد رحمه الله على مزاعم هذه النظرية بقوله فى كتابه « حقائق الاسلام وأباطيل خصومه » :

« ليس الانسان قنطرة بين القرد ، والسوبرمان ـ يشير الى قول نيتشة ـ بل الانسان قنطرة من الارض الى السماء تبينها قدرة الله •• قنطرة قرارها أسفل سافلين، وذروتها أعلى عليين ، ومعراج من التراب المجبول الى أفق الارواح والعقول •

• **يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه »(١)**

• * •

ولو شئنا ـ من باب الجدل فقط ـ أن نلغى عقولنا قليلا ونمضى فى محاورة القوم لقلنا لهم :

ـ اذا كان «القرد» هو الاصل •• فمن الذى خلق «القرد» وجعله على تكوينه المخصوص وحجمه الذى يختلف مثلا عن حجم الجمل أو الفيل ؟

فسيقولون : الطبيعة هى التى صنعت ذلك ؟

فنسألهم : وكيف وفقت الطبيعة الى ما نشاهد من الاحكام والابداع؟

فسيقولون : انها الصدفة •• الصدفة والاتفاق فى حركة العناصر هى التى جمعت مخلوقات الكون كله بين الارض والسماء على هذا النحو •• الصدفة وحدها ••

ونسألهم : أمن الممكن مثلا لو جمعنا مجموعة من أحجار البناء والحديد المسلح والاسمنت والخشب والزجاج وما اليها ثم أخذنا نحركها داخل جهاز ضخم حركة عشوائية سريعة •• أمن الممكن فى هذه الحال ـ وبالصدفة التى تقولون بها ـ أن تتكون لدينا عمارة جميلة ذات طوابق وغرف وحمامات وشرفات لم وما اليها ؟

ربما قالوا : نعم •• فنسألهم •• ومن الذى أوجد عناصر الطبيعة التى كان منها هذا الخلق الرائع ••؟

سيقولون ، أوجدت نفسها •• وعندئذ تفترق طريقانا ونقول لهم :

---

١ ـ الانشقاق

بل أوجدتها القدرة القاهرة العالمةالحكيمة المهيمنة المدبرة ٠٠ قـــدرة الحق سبحانه (**الذى أحســـن كل شىء خلقه ، وبدأ خلق الانســان من طـين ٠** (١)

٠ * ٠

ويطيب لى أن أنقل شهادة لهـــاقيمتها وهى لعالم امريكىفىالبيولوجيا اسمه « سيسيل بايس هايمـان » وفيها يقول : (٢)

« ان الطبيعة لا تفسر شيئا مـنالكون ، ولكنها هى نفسها بحاجةالى تفسير » فلو أنك سألت طبيبا : ماالسبب وراء احمرار الدم ؟

لاجاب : لان فى الدم خلاياحمراء،حجم كل منها ١على ٧٠٠ مـــــن البوصة ٠

ـ حسنا ، ولكن لماذا تكون هذهالخلايا حمراء ؟

ـ لان فى هذه الخلايا مادةتسمى « الهيوجلوبين ، وهى مادة تحدثلها الحمرة حين تختلط بالاوكسجينفىالقلب » ٠

ـ هذا جميل ، ولكن من أينتأتىهذه الخلاياالتى تحملالهميوجلوبين؟

ـ انها تصنع فى كبدك ٠

ـ عجيب ولكن كيف ترتبط هذهالاشياء الكثيرة من الدم والخلايـــا والكبد وغيرهاب عضها ببعض ارتباطاكليا ، وتسير نحو أداء واجبهـــا المطلوب بهذه الدقة الفائقة ؟

ـ هذا ما نسميه بقانون الطبيعة

ـ ولكن : ما المراد بقانونالطبيعةهذا ياسيدى الطبيـب ؟

ـ المراد بهذا القانونهو الحركاتالداخلية العمياء للقوى الطبيعيـــة والكيمياء »

ـ ولكن : لماذا تهدف هذه القوىدائما الى نتيجة معلومة ؟ وكيـــف تنظم نشاطها ؟ حتى تطير الطيورفىالهواء ، ويعيش السمك فى المـاء ؟ ويوجد انسان فى الدنيا بجميع مـالديه من الامكانات والكفاءات المثيرة العجيبة ؟

---

١ ـ السجدة : ٧

٢ ـ عن كتاب : « الاسلام يتحـدى »تاليف وحيد الدين خان ص ٤٤،٤٣ ٠ ط : بيروت ٠

ـ لا تسألني عن هـذا ، فان علمي لا يتكلم الا عن « مايحدث » وليس له أن يعرف « لماذا يحدث » ؟!

• ★ •

ومعنى هذا أن العلمانية المزعومة عند القوم لا تعدو أن تكون تفسيرا لكنها لاتصلح بأي حال جوابا على السؤال المعلق : كيف حدثت هذه الاشياء التي منتهى علمنا أن نقف على تفسيرها ؟

• ★ •

التفسير المادي للتاريخ والنظرية الماركسية

عاشت نظرية «النشوء والارتقاء» زمنا تشغل الناس ، وتؤدي دورها في عملية التشكيك في الاديان عامة لكنها لم تقابل ـ من المسلمين ـ بغير الازدراء والمناهضة ، لاسيما بعدما ثبت أنها من الناحية العلمية قد أقيمت على فروض قابلة للتغير وعلى الاستقراء الناقص ، وأنها لم تزد كما قال أحد الاوربيين •

« ان الاستدلال بقانون الانتخاب الطبيعي يفسر عملية « بقاء الاصلح » ولكنه لا يستطيع ان يفسر حدوث « هذا الاصلح »(١) .

• ★ •

لذا فكر الغزاة في أمر آخر يثيرون به الاذهان ويشغلون به العالم المتدين عن التفكير في الاديان وهنا كان هذا التفسير الجديد لحركة الكون والحياة ، والذي يناهض التفسير الديني لها ، ويرد مايجري في الكون من أحداث لا الى السنن الالهية وارادة الخالق •• ولكن الى عمليات الصراع الذي تحدث بين الطبقات المختلفة داخل أي مجتمع •

وقد وقع الاختيار في تقديم هذا التفسير الجديد ـ على اليهودي كارل ماركس ورفيقه انجلز ، الـذي يعتبرونه فيلسوف الفكرة الشيوعية

وقد بدأ أصحاب هذه النظريـة بالزعم بأن « الاديان » ليست سوى « خدعة تاريخية » وان الاحـوال الاجتماعية ـ كما يقول ماركس : هي التي تقوم ببناء الانسانيـة وتكميلها •• ثم يمضون في الزعم الى أن الانسان هو الذي اخترع الاديان في حالة عجزه عن مواجهة القوى الخارجية •

---

(١) عن كتاب « الاسلام يتحدى » ص ـ ٤٥

ويتوجون مزاعمهم بعرض الغاية من وراء هذه الحملة على الدين بقولهم .. ان مرحلة التدين هذه قد اجتازها الانسان ، وعلى هذا فلا داعي للاستمرار فيها لان أوانها قد فات .

• * •

ومن ناحية أخرى فان الفكر الشيوعي يحرص على الربط بين الدين وبين الرأسمالية والاقطاع واستغلال أصحاب رؤوس الأموال لغيرهم من طبقات المجتمع ..

وهذا الكلام ان انطبق على أى مذهب آخر فلا يمكن انطباقه على الاسلام ، الذى يمتاز بما فيه من تكافل اجتماعى ينظر الى المجتمع كله باعتباره وحدة عضوية يجب أن يتأثر كل جزء فيها بالام بقية الاجزاء .. وفى هذا يقول الحديث النبوى المشهور بما معناه :

« المسلمون فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

وقد شهدت الدولة الاسلامية تطبيقات ذلك على نحو يندر ان يكون له مثيل فى تاريخ أى عقيدة بل وفى تاريخ أى أمة ..

ونذكر على سبيل المثال عملية « المؤاخاة » التى أقامها النبى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار عند بداية تأسيس الدولة الاسلامية بالمدينة ، والتى طبق فيها مبدأ التعاطف والتراحم ، واستشعار القادرين متاعب المحتاجين على نحو رائع ونادر ، ودون حاجة الى اكراه او ضغط أو حمامات دماء ..

وحدث مثل هذا التكافل الاجتماعى وظل سائدا طوال عصر النبى صلوات الله عليه والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم .. وفى غير ذلك من العصور الزاهرة كعصر الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه .

• ★ •

واذا كانت هناك حالات لم يأخذها هذا التكافل مداه فما هو من عيب الاسلام ولكنه من عيب الحكومات التى انحرفت عند التطبيق ..

• * •

واذا كانت الشيوعية تعتبر حق الارث الذى أقرته شريعة الاسلام

منافيا — كما زعموا — للعدالة فى التوزيع التى يتشدقون بها ، والتى يستبدلونها بملكية الدولة لكل شيء فالاسلام بالميراث يفتت الكتل الرأسمالية تفتيتا هادئا وطبيعيا فى ظرف جيل أو جيلين على الاكثر دون التجاء كما أشرت الى القهر أو العنف ..

وموقف الاسلام من المال وضوابطه العظيمة فى كسبه وانفاقه تمنع كلية من عمليات الاستغلال أو الاحتكار أو امتصاص جهود الاخرين نتيجة الموقع المالى الممتاز بالربا أو غيره من ضروب الاستغلال فهذا كله حرام ومرفوض فى شريعة هذا الدين .

• ★ •

واذا كانت الشيوعية تذيع وهما أنها تعمل على اعلاء حق المجتمع على كل الحقوق . فان الاسلام فى ذلك رائد ناصح ومأمون العواقب ، لان المصلحة فى التشريع الاسلامى ذات اعتبار مرموق .. ومن المعروف لدى الفقهاء أن التشريع يكون حيث تكون مصلحة الامة وجودا وعدما ..

هذا مع ملحظ هام وهو أن الاسلام يعطى للدافع الذاتى عند البشر اعتباره ولا يغفل الطبيعة البشرية التى جبلت على حب التملك ، والتصرف .. فمنحها هذا الحق ، مع ضمانات استخدامه فى الطريق الذى لا ضرر فيه ولا ضرار (١) .

• ✶ •

وبصرف النظر عما فى النظرية الشيوعية من تناقضات فى الفكر والتطبيق لايتسع المقام لتفصيلها هنا ، فقد كانت الغاية الاساسية التى أقيمت من أجلها هى نقض فكرة التدين ورفض وجود الاله واعلان الكفر به ، اشاعة للفوضى ، ومقدمة لمرحلة أخرى فى مخطط الغزاة .

وفى هذا يقول لينين فى خطاب له بالمؤتمر الثالث لمنظمة الشباب الشيوعى سنة ١٩٢٠ م .

— اننا لا نؤمن بالاله ..

— ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب الكنيسة والاقطاعيين ، والبورجوازيين ، لا يخاطبوننا باسم الاله الا استغلالا ، ومحافظة على مصالحهم .

---

١ — للمزيد من التفاصيل : انظر الاسلام والشيوعية للاستاذين عباس العقاد واحمد عبد الغفور عطار

ـ اننا ننكر بشدة جميع هـذه الاسس الاخلاقية ، التى صدرت عن طاقات وراء الطبيعة غير الانسان ،والتى لا تتفق مع أفكارنا الطبقية، وتؤكد أن كل هذا مكر وخداع وهوستار على عقول الفلاحين والعمال لصالح الاستعمار والاقطاع ، ونعلن أن نظامنا لا يتبع الا ثمرة النضال البروليتارى .. »

• ★ •

ولنكون على بينة من طبيعة الظروف التى قامت فيها الثورة الشيوعية سنة ١٩١٧ م ينبغى أن ننبه الى دور القوى اليهودية الصهيونية فيها وهو دور بالغ الخطر . لانه المحرك الخفى وراء كل هذه المحاولات للانقضاض على الاديان فى كل مكان ..

« لقد كانت نقمة اليهود على روسيا القيصرية عظيمة ، لانها كانت الركن الركين للمسيحية ثم لان روسيا انذاك لم تهضم تغلغل اليهود فى الكيان الروسى ولم تسمح بسيطرتهم على مقدرات شعب روسيا كما أنها لم تحل دون عمليات القمع التى كانت توجه الى اليهود كلما تسببوا فى تدمير اقتصاد بلد من بلدان روسيا ، وكلما ذبحوا طفلا لاستنزاف دمه لفطير العيد ..

« وقررت الحكومة المستورة أن تدمر المسيحية فى روسيا وأن تنتقم من الشعب الروسى الذى كان يحتقر اليهود ويضطهدهم فكانت الثورة البلنسفية سنة ١٩١٧ م » (١)

ومن أصرح مايدل على أن الصهيونية العالمية تقف بتخطيطها المدروس وراء كل هذه الحركات والنظريات الهدامة ماجاء واضحا فى بروتوكولات صهيون حيث يأتى فى البروتوكول الثانى مانصه :

« لاتتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء .

ولاحظوا هنا أن نجاح «دارون» و «نيتشة» و «ماركس» قد رتبناه من قبل (٢) »

ويقول أيضا ما نصه :

---

١ ـ خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية للاستاذ عبد الله التل ص ١٩٢ .
٢ ـ بروتوكولات حكماء صهيون ص ١٠٦

« اننا نقصد أن نظهر كما لو كنا المحررين للعمال ، جئنا لنحررهم من الظلم حينما ننصحهم بأن يلتحقوا بطبقات جيوشنا من الاشتراكيين والفوضويين والشيوعيين .

« ونحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونحتضنها متظاهرين بأننا نساعد العمال طوعا لمبدأ الاخوة والانسانية العامة » .

وفي هذه الاعترافات مايمكن كل ذي بصر من أن يعرف كيف تأتيه ريح الشر ؟ ومن أين تأتيه ؟!

خامسا : دعم وتأسيس الحركات المعادية للاسلام .

ونعرض في هذا المقام لنتين من هذه الحركات المعادية للاسلام ، والتي ظفرت وماتزال بتأييد القوى المعادية ودعمها وأعني بهما :

أ ـ القاديانية .

ب ـ البهائية .

القاديانية

لن أتعرض في هذه العجالة لحديث مفصل عن تاريخ هذه الحركة ، ولا حياة مؤسسها وتفصيلات دعاواها . فقد تكفل بذلك دعاة مخلصون ، أذكر منهم السيد الأستاذ أبو الاعلى المودودي في كتابه « القاديانية » ماهي ؟ (١) والسيد ـ الاستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه «القاديانية والقادياني : دراسة وتحليل » (٢) ثم : الحافظ احسان الهي ظهير في كتابه « القاديانية » دراسات وتحليل » (٣)

لكن ما يعنيني هنا هو ابراز طبيعة هذه الحركة ودورها في مخطط الغزو الفكري الكبير الذي يتعرض له ديننا العظيم . وبيان طبيعة علاقة هذه الحركة بالقوى الاستعمارية المناهضة .

. * .

وأول ما يبرز من زيغ هذه الحركة أنها محاولة مناهضة التراث المسلمين الاصيل وللحق الذي تمثله مهابط الوحي في المدينتين المقدستين :مكة

---

١ ـ من منشورات دار القلم ـ بالكويت

٢ ـ من منشورات المجمع الاسلامي (ندوة العلماء) بالهند .

٣ ـ من منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة

المكرمة والمدينة المنورة ، بهـــدف تحويل ولاء المسلمين عن هذه المنابع الى المنبع الجديد الزائف الذى نشأت فيه الحركة القاديانية ...

وكأن المسألة من باب الفخـــر الاقليمى ـ وليست رسالة سماوية ـ يعلم الحق سبحانه أين يجعلهـا وأين يضعها وينزلها و ـ **الله اعلم حيث يجعل رسالته**

وفى هذا تطالعنا هذه العبـــارة الخطيرة لاحد أتباع القاديانية يقول فيها :

« ان الذى يزور قبه المسيـــح الموعود البيضاء فى « القاديان » لـه نصيب من البركات التى تختص بقبة النبى الخضراء فى المدينة ، فما أشقى الرجل الذى يحرم نفسه من هـــذه البركات خلال الحج الاكبر الـــى قاديان «١»

ويقول بشير الدين محمود أحمد الخليفة الثانى للميرزا غلام أحمد : ان الحج الى قادين حج تمثيلى لحج بيت الله الحرام «٢»

ويقول أحد أتباع القاديانية :

« والحج الى مكة بغير الحج الـى قاديان حج جاف خسيب ، لان الحج اليوم الى مكة لا يؤدى رسالته، ولا يفى بغرضه «٣»

. * .

وأكثر من هذا أنهم تأولـــوا نصوص القرآن مع صراحتها وحرفوها الى غاياتهم ، فقال الميرزا غلام احمد نفسه :

ان الاية « ومن دخله كان آمنا » تعنى المسجد الذى أسس فى (قاديان)
ويقول : ان المراد بالمسجد الاقصى فى قوله تعالى :

« **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسـجد الحرام الى المسـجد الاقصى الذى باركنا حوله** » هو المســـجد المؤسس فى «قاديان» «٤»

هذا الى ماهو ثابت فى المصادر ،من استخدامهم فى معاملة « الميـــرزا غلام احمد » مؤسس هذه الحركـة الضالة لنفس الالفاظ وعبارات التوقير

---

١ ـ ماهى القاديانية للمودودى ص ٥١،٥٢ .
٢ ـ المصدر السابق ص ٥٢
٣ ـ المصدر السابق ص ٥٢
٤ ـ البراهين الاحمدية للميرزا

التى كانت تستخدم مع الرسول الكريم صلوات الله عليه فهم يقولون عن « الميرزا » .. عليه السلام .. ويتحدثون عن أهل بيته بعبارة « أم المؤمنين » ويقولون عن رجاله «رضى الله عنهم » .

. * .

فالامر اذا هو محاولة صريحة لاحلال عقيدة محل عقيدة ، واختراع نبى فى مقام النبى الكريم صلوات الله عليه ثم ادعاء قبلة مكان القبلة.

ولا يخفى مافى ذلك من هدم صريح للاساس الاكبر الذى تقوم عليه عقيدة الاسلام الخالصة من ختم الرسالات برسالة محمد صلوات الله عليه ، ومن مناقضة صريحة لنصوص كتابنا الكريم .

. * .

فاذا انتبهنا الى ملحظ اخر وهو ترحيب القوى الهندوسية ، ثم القوى الاستعمارية بهذه الحركة وتأييدهما لها أدركنا طبيعة الهدف الذى يجمع هذه القوى المناهضة ، وبان دور الحركة القاديانية فى التخريب المرسوم .

ومما يلفت النظر فى هذا أن يتصدى الزعيم الهندوسى الراحل « جواهر لال نهرو » للدفاع عن هذه الحركة حينما تصدى لها شاعر الاسلام وداعيته الكبير « محمد أقبال» الذى قال (١) فاضحا خطتهم:

« ان جواهر لال نهرو » **ومن معه** من القوميين مضطربون من انتعاش المسلمين ونهضتهم كما أن «**القاديانية**» مضطربة أيضا لنفس السبب .

« وهم يعرفون أن هذا الانتعاش وهذه الحركة سوف تقضى على خطتهم ، خطة تمزيق أمة الرسول العربى ـ فداه أبى وأمى ـ وتكوين أمة جديدة لمتنبىء هندى ، ولاجل هذا يؤيدهم جواهر لال نهرو . والا فأى علاقة له بهم ؟» .

. * .

أما عمالة هذه الحركة للقوى الاستعمارية ، وهى السلطات الانجليزية آنذاك فيدل عليه بوضوح مابعده وضوح الكتاب الذى ألفه

---

١ ـ القاديانية : احسان الهى ظهير ص : ٦،٥

الخليفة الثانى للحركة والمسمى « تحفة شهزادة ويلز » أى « هدية لسمو الامير ويلز نجل جورج الخامس ملك بريطانيا » فى مناسبة زيارته للهند فى عهد الاحتلال البريطانى سنة ١٩٣١ م ، وفيه يقول (١) .

« يانجل مليكنا المعظم وولى عهد المملكة البريطانية » :

« أنا امام الجماعة الاحمدية (٢) (؟) وخليفة مؤسسها المسيح الموعود عليه السلام ، أرحب بك بالنيابة عن افراد الجماعة الاحمدية (؟) أجمعين ، وأؤكد لك بأن الجماعة الاحمدية وفية للحكومة البريطانية وستبقى وفية لها ان شاء الله .

ويقول :

« ان منهج هذه الجماعة من يوم تأسيسها أن تطيع الحكومة القائمة (حكومة الاحتلال البريطانى) وتبتعد عن جميع أعمال الفتنة والفساد — يريد بها حركات التحرير التى ينهض بها المسلمون للخلاص من الاستعمار — وأن مؤسسها عليه السلام (؟) كان قد وضع ضمن شروط المبايعة ، التى لايمكن للمرء أن ينضم للجماعة بدونها .. ضرورة أن يتعهد الشخص بأن يطيع الحكومة القائمة . ولهذا اجتنب اعضاء هذه الجماعة دائما الفتنة والفساد ؟! وأصبحوا أسوة وقدوة للاخرين » .

. * .

فنحن هنا أمام اعتراف قاطع بدور القاديانية الموالى تماما للاستعمار ضد الامانى العامة لشعب الهند وأمانى المسلمين منهم بوصف خاص . . ويكفى هذا الاعتراف لادانة أهداف الحركة والنظر اليها باعتبارها من أولياء الكفر ومن أعداء الاسلام .

ويزيد فى تفهمنا لدور هذه الحركة فى خيانة أهداف الامة الاسلامية ما ثبت بعد ذلك من ممارسة القاديانية لدور الجاسوسية والعمالة للسلطات البريطانية ضد المسلمين ليس فى الهند وحدها بل وغيرها من اقطار الاسلام .

---

١ — عن كتاب الاستاذ المودودى ص ١٣، ١٤

٢ — لاحظ هذه النزعة الى القومية فى وصف الحركة بالاحمدية انسلاخا من الصفة العامة للمسلمين ..

يؤكد ذلك قول الاستاذالمودودى : (١)

« وقد مدت حركة الميرزا غلام احمد (القاديانية) الحكومة الانجليزية بخير جواسيسها لخدمة مصالحها الاستعمارية ، وقد كانوا أصدقاء أوفياء وكانوا موضع ثقة الحكومة الانجليزية وقد خدموها فى الهند وخارج الهند » ٠

٠ * ٠

ويعترف أحد القاديانيين بعد رجوعه من روسيا سنة ١٩٢٣ م بقوله : (٢)

« انى اعتقلت مرات بتهمة الجاسوسية للانجليز ٠٠ ثم يقول مفاخرا : أنا ما ذهبت الى روسيا الا لتبليغ القاديانية ، ولكن : بما أن مفادات القاديانية وأهدافها متعلقة بأعراض وأهداف حكومة بريطانيا ، كنت مضطرا بأن أحترام هذه الحكومة وأؤدى واجبها على » ٠

٠ * ٠

بل ان هؤلاء القاديانيين ليقفون من قضايا المسلمين فى كل مكان موقف الخيانة والحقد ، ويسرهم جدا أن ينزل أعداء الاسلام بأسهم وبطشهم بالمسلمين ، وفى هذا ما يكشف عن طبيعة هذه الحركة المعادية للاسلام والتى تهتم بأن ترضى سيدها ، وأن تعلن فرحها بانتصاراته ولو كان ينتصر على من يزعمون هم الانتساب اليهم ٠

ويذكر التاريخ لهم موقفهم المشين حينما استطاعت قوات الاحتلال البريطانى أن تسيطر على العراق فاذا زعماء هذه القاديانية يقيمون حفلات الابتهاج العام بانتصار بريطانيا واحتلالها للعراق ٠

وحين أشارت اليهم أصابع المسلمين بالتنديد والخيانة لم يتردد خليفة ـ الميرزا غلام احمد ـ وابنه أيضا أن يعلن فى حفل أقيم لهذه المناسبة عن موقفهم الخائن فى قوله :

«ان علماء المسلمين يتهموننا بأننا نتعاون مع الانجليز ، ويطعنوننا لابتهاجنا بفتوحاتهم وانى اتساءل : لماذا لا نفرح ؟ !! ولماذا لا نسر ؟ وقد قال امامنا « يعنى أباه » : بأنى **أنا مهدى ، وبريطانيا هى سيفى** ٠

---

١ ـ ماهى القاديانية : ص ١٤

٢ ـ القاديانية : احسان ظهير ص ٣١

« فنحن نبتهج بهذا الفتح ،ونريدأن نرى لمعان هذا السيف وبرقه فى العراق وفى الشام وفى كل مكان

ثم يزداد توقحا فيعلن : « أن الله أنزل ملائكته لتأييد هذه الحكومة ومساعدتها »(١) .

* ★ *

بقى مما يتصل بمنهجنا فى هذا البحث بيان الغايات الخبيثة التى تنشدها القوى المؤيدة لمثل هذه الحركات الهدامة ، وهى العمل على اخضاع المسلمين . وحملهم على الاستسلام التام لدوهم حتى يبلغ فيهم غايته

وقد تبلورت هذه الغاية عند القاديانيين فى اعلان بطلان الجهاد كما سبقت الاشارة اليه وان كنت أوثر هنا تقديم ذلك من خلال كتاباتهم الصريحة .

* ✶ *

كتب الميرزا غلام أحمد مؤسس هذه الحركة فى خطاب له الى الحاكم العام الانجليزى يقول ما نصه :(٢)

« ... ان العمل المهم الذى أنا منصرف اليه بلسانى وقلمى منذ أول عهدى بالحياة الى هذا اليوم ،وأنا ابن الستين . هو أن أصرف قلوب المسلمين الى طريق الحب والولاء ، والاخلاص والوفاء الصادق الخالص للحكومة الانجليزية .

« وأن أزيل عن نفوس بعض سفهائهم الاوهام الخاطئة كالجهاد (هكذا) وغيره مما يصدهم عن صفاء القلوب ، ويصرفهم عن الصلات القائمة على الاخلاص » .

ويقول فى الكتاب نفسه :

« وانى لعلى يقين بأنه بقدر ما يكثر أتباعى ، بقدر ما يقل المعتقدون بمسالة الجهاد المقدس (؟!) ، فان مجرد الايمان بى — كالمسيح والمهدى — هو انكار للجهاد »

---

١ — جريدة الفضل ٧ ديسمبر سنة ١٩١٨ عن كتاب : القاديانية الاحسان الهى ظهير ص ٣١

٢ — التبليغ الرسالة ج٧ ص ١٠ أغسطس سنة ١٩٢٠ عن كتاب القاديانية ماهى : للاستاذ المودودى ص ٩٦ ، ٩٧

ثم يقول :

« انى ملات المكتبات من الكتب التى كتبتها فى مدح الانجليز » وخاصة فى وضع الجهاد الذى يعتقده كثير من المسلمين وهذه خدمة كبيرة للحكومة الانجليزية ، فأرجو أن أجزى بها جزاء حسنا » .

وهكذا فنحن أمام حركة يعرف الذين خططوا لها كيف يفيدون منها .. وكل ما ارتكبت وما ترتكب من اجرام وتخريب فى ديننا ليس الا دليلا على ما قررناه فى صدر هذا الفصل من أن الاعداء يؤثرون اليوم أن يضربونا نحن المسلمين برجال يحسبون باطلا على الاسلام .. لان الشجرة لايهزها الا فرع منها كما يقول المثل عندنا .. فى مصر ..

• ★ •

ب ـ البهائية

والبهائية فى موقفها التخريبى للاسلام انما هى مرحلة مختلفة ـ من حيث الاشخاص فقط ـ عن الحركة القاديانية التى عرضنا لها ، وكذا عن « البابية » التى هى مقدمة البهائية وأصلها العضوى .. فالكل يشتركون فى الحقد على الاسلام عامة وعلى نبوة النبى العربى صلى الله عليه وسلم بوصف خاص ـ والمنطلق هنا كالمنطلقات هناك :

◉ عمالة صريحة للمستعمرين أعداء الاسلام ، وموالاة متفانية لهم فى وجه نضال المسلمين .

◉ حقد عنصرى قديم على الاسلام لا لشيء سوى أنه ظهر فى العرب ، ولم يظهر فى غيرهم والحق سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته ..

◉ تحريف الكلم الربانى عن مواضعه ، ومحاولة مفضوحة لتأويله بما يخدم هدفهم .

◉ انكار ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم ..

◉ التحلل والاباحية والاعتماد على الغرائز الدنيا فى الانسان لاسلاس قيادته .

◉ الخروج على وحدة الامة المسلمة وشق عصاها بما يخدم أهداف العدو

• ★ •

واذا كانت تلك هى السمات العامة لهذه الحركات الهدامة فان ثمة فروقا بين كل منها وهى لا تختلف الا باختلاف طبائع الاشخاص القائمين بكل حركة منها. وحيث قد عرضنا للقاديانية من قبل فلا بأس من القاء نظرة سريعة على البهائية عبر تاريخها ، والتى يبرز فيها تعاطفهم الواضح مع الصهيونية العالمية . وبالذات مع اسرائيل .

• ★ •

ظهرت البهائية على يد « الميرزا حسين على المازندرانى » لتكمل الخط الذى بدأته الحركة البابية على يد « الميرزا على الشيرازى» ثم انقطع حينما افتى العلماء بقتله لارتداده ،وعمله على ابطال الشريعة الاسلامية فنفذ فيه حكم الاعدام صبيحة يوم من أيام سنة ١٢٦٥ هـ الموافق ١٨٤٩ م .

وعندئذ أعطيت اشارة البدء« للميرزا حسين » فأخذ فى التحرك أريد له أن يكون اكثر جرأة ووضوحا فى تبنى الافكار الغازية التى لم تنشأ مثل هذه الحركات الالخدمتها

وعلى سبيل المثال فاذا كانت الشريعة الاسلامية تحرم الربا تحريما قاطعا بنص القران الكريم وهذا ما يتعارض تماما ومصالح الغزاة فلماذا لا يجرؤ هذا العميل على اعلان تحليله واباحته ؟!

يقول الميرزا :

« ... ولهذا فضلا على العباد(؟!) قررنا الربا كسائر المعاملات المتداولة بين الناس أى ربح النقود، فمن هذا الحين نزل فيكم الحكم المبين ومن سماء المشيئة صار ربح النقود ـ أى الربا ـ حلالا طيبا»(١)

• ✶ •

واذا لاحظنا فى هذا المقام أن البابية وهى أصل البهائية كانت قد دخلت فيها بأمر المنظمة الصهيونية العالمية مجموعات من اليهود وانضوت تحت لوائها .. حيث دخل فى البابية من اليهود فى طهران ١٥٠ ، وفى همدان ١٠٠ وفى كاشان ٥٠ وفى كلباكيان ٨٥ ، كما يقرره صاحب كتاب « مطالع الانوار »

---

١ ـ نبذة من تعاليم بهاء الله ص ١٠٦ عن كتاب : حقيقة البابية والبهائية ص ١٥٥

اذا لاحظنا هذا الاعتناق الجماعي من اليهود للبابية التى هى أصل البهائية وجدنا التفسير الطبيعي لاصدار زعيم البهائية مثل هذا التحليل لجريمة الربا خدمة للاهداف اليهودية المعروفة .

ومثلا : اذا كانت الشريعة الاسلامية قد وضعت كلا من الجنسين ــ الرجل والمرأة ــ فى الاطار الطبيعي المتفق وما هما عليه من اختلاف فى أصل الخلقة والتكوين . فجعلت القوامة للرجال على النساء وفق معايير كريمة تصنع المجتمع النظيف المطمئن ..

فقد جاءت البهائية لتوصى النساء فى مجتمعها ــ وفى غيره بالطبع ــ بالتحلل من هذه القيود ، وتطالب باطلاقهن من كل معايير الاخلاق والعفة ..

والمتتبعون لتاريخ البهائية والبابية من قبلها يعلمون جيدا طبيعة الدور القذر الذى نهضت به الغانية الشهيرة المسماة « زرين تاج » أى ذات الشعر الذهبى ، والتى لقبها أستاذها « كاظم الرشتى » بلقب « غرة العين وفرح الفؤاد » .

وقفت هذه المرأة فى مؤتمر « بدشت » سنة ١٢٦١ هـ سنة ١٨٤٨ م سافرة متبرجة لتقول لبنات جنسها وللرجال معهن :

« مزقوا هذا الحجاب القائم بينكم وبين نسائكم ، بأن تشاركوهن الاعمال وتقاسموهن الافعال ، ثم تقول :

« واصلوهن بعد السلوة ، وأخرجوهن من الخلوة الى الجلوة ، فما هن الا زهرة الحياة الدنيا ، وان الزهرة لابد من قطفها وشمها لانها خلقت للشم .

« ولا ينبغى أن يحد شاموها بالكيف والكم ، فالزهرة تجنى وتقطف وللاحباب تدى وتتحف (١)

وتقول فى خطبة أخرى لها :

« ايها الناس : ان أحكام الشريعة الاولى ــ تعنى الاسلام ــ قد نسخت ، وان الشريعة الثانية لم تصل الينا ، فنحن الان فى زمن لاتكليف فيه بشىء » .

---

١ ــ مفتاح باب الابواب من المصدر السابق ص ٩٧

ومثلا : اذا كان القرآن الكريم يقطع بتحريف النصارى واليهود للتوراة والانجيل فى مثل قوله سبحانه :

« فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون (١) »

وقوله سبحانه :

« من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه (٢) »

اذا كان هذا رأى القرآن فان البهائية تفتى بنقيض ذلك ، ويقول الميرزا حسين فى كتابه «الايقان» :

« ان التوراة والانجيل لم يدخل عليهما التبديل والتحريف » .

* * *

ومثلا اذا كان القرآن الكريم يقرر ان المسيح لم يقتل ولم يصلب بمثل قول الحق سبحانه :

« وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما (٣) »

اذا كان القرآن يقرر ذلك فان البهائيين يقررون نقيضه فيقول عبد البهاء :

« ولما أشرقت كلمة الله من أوج الجلال بحكمة الحق المتعال فى عالم الجسد ، اعتدى عليها فى الجسد اذ وقعت فى أيدى اليهود أسيرة لكل ظلوم وجهول ، وانتهى الامر بالصلب (٤)»

---

١ البقرة ٧٩

٢ النساء ٤٦

٣ النساء ١٥٧ ـ ١٥٨

٤ مفاوضات عبد البهاء ص ١٠٢،١٠٢ عن كتاب حقيقة البابية والبهائية ص ١٥٩

هذا الى قولهم الصريح بمزاعم النصارى عن تأليه المسيح ومايتصل بها من دعاوى ، وهذا كان التمن أو الخلاصة المحتومة لطبيعة العلاقة التآمرية بين هذه الحركة ونظائرها وبين القوى الصليبية والصهيونية المتآمرة على الاسلام ..

ويظهر هذا فى تدخل الدولتين الروسية والبريطانية لاخراج ميرزا البهائيين من سجنه بعد كشف مؤامراتهم على حياة الشاه ، تم الاكتفاء بنفيه الى بغداد فى أول المحرم ١٢٦٩ (١) ، ثم ترحيله بعد ذلك الى «عكا» حيث قضى فيها بقية عمره الى أن هلك فيها ودفن بها سنة ١٨٩٢ م

وكانت فترة الاقامة الطويلة فى « عكا » هى فترة الاحتضان اليهودى الكامل للبهائية تخطيطا وتنفيذا .

وهنا يظهر الدور المخزى لهذه الفئة المتامرة ضد مقدسات الاسلام والمسلمين لصالح الصهيونية العالمية، الذى يكشف عنه بأقصى وضوح قول « عبد البهاء » :

« وفى تلك الدورة سيجتمع بنو اسرائيل فى الارض المقدسة ، وتكون أمة اليهود التى تفرقت فى الشرق والرب مجتمعة » .

ثم يقول مزكيا هجرة اليهود واغتصابهم لارض الشعب الفلسطينى وحقوقه :

« فانظروا الآن نأتى طوائف اليهود الى الارض المقدسة ، ويمتلكون الاراضى والقرى ويسكنون فيها ، ويزدادون تدريجيا الى ان تصير فلسطين جميعا وطنا لهم (٢) »

•◉•

بل لقد بالغ البهائيون فى ارتداء ثياب العمالة لليهود الى حد دعوتهم الى انضواء جميع الاديان تحت ظل اليهودية ، وفى هذا نطالع فقرة من بيان جبهة علماء الازهر تقول فيه :

« ولقد تزلف البهائيون الى اليهود ومالاوهم على العرب والمسلمين ، وبشروهم بأن فلسطين ستكون وطنا قوميا لهم ..

---

١ ـ المصدر السابق ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

٢ ـ مفاوضات عبد البهاء ص ٥٩ عن الفصل القيم عن علاقة البهائية باليهودية العالمية فى كتاب « حقيقة البابية والبهائية ص ١٨٩

ويضيف البيان :

« وقال طاغيتهم ـ عبد البهاء ـ واسمه عباس ـ انه يريد أن يوحد بين المسلمين والنصارى واليهود ، ويجمعهم على نواميس موسى عليه السلام الذى يؤمنون به جميعا ، ومعنى هذا أنه يريد تهويد المسلمين والنصارى ، وان يجعل اليهودية هى الدين السائد فى الارض وبذلك يكون السلطان فى العالم كله لليهود وحدهم » .

• ★ •

ان ما عرضنا له من تاريخ هذه الحركات الهدامة يقطع بوضوح لا مجال للشك فيه بأن دورهم فى مخطط الغزو الفكرى هو دور العمالة والخيانة ، وكسر وحدة الصف الاسلامى واشغال المسلمين عن خطر عدهم بجعل باسهم بينهم ، وهذا ـ من وجهة نظر الغزاة ـ هو المطلوب كما يقول أهل الرياضة .

سادسا : التسلل تحت شعارات خادعة .

أعداء الاسلام يحاولون حصاره بكل الوسائل ، فان لم تنفع واحدة فربما نفعت الاخرى واذا لم تكن المواجهة الصريحة مفيدة فهناك التسلل بشتى الوسائل ، ولقد أشرنا قبل الى ايمانهم فى العمل بنظرية « حصان طروادة » وتعنى دخول معسكرات المسلمين داخل أقنعة وسواتر ..

وفى هذا المجال شهد العالم الاسلامى غزو مجموعة من المنظمات العالمية المعادية وهى تحاول التسلل الى أمة المسلمين تحت شعارات ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله الخراب ..

مثل ..

« جماعة التسلح الخلقى » و « جمعية اخوان الحرية » و « بيوت الشباب العالمية » و « أنصار السلام » و « نادى الروتارى » وغيرها ..

.. **وفى قمتها وأخطرها جميعا « الحركة الماسونية »** ..

ومن الواجب قبل المضى فى الحديث عن هذه المنظمات من خلال الحديث

عن أشهرها وأخطرها وهو التنظيم الماسوني ، يجدر بنا أن نوضح للقارىء الكريم أن منهج العمل وخطته في هذه المنظمات جميعا لا تقوم على أساس أخلاقي ، بل ان محور التوجيه والاخضاع والسيطرة فيها جميعا محور غير أخلاقي ، وشعار الحركة فيها هو الشعار الماكيافيللي المشهور « الغاية تبرر الوسيلة » .. بل ان في بروتوكولات حكماء صهيون ما يقرر هذا صراحة حيث جاء في البروتوكول الاول :

« ان الغاية تبرر الوسيلة ، وعلينا - ونحن نضع خططنا - ألا نلتفت الى ماهو خير وأخلاقي بقدر ما نلتفت الى ماهو ضروري ومفيد » .

واذا كانت الاخلاقيات والقيم لا اعتبار لها مطلقا عند هؤلاء فينبغي العلم بأنهم - من أجل أهدافهم - لا يتركون طريقا - مهما كان غير شريف - الا ومضوا فيه . فالجاسوسية والرشوة والاغراء بالمال والنساء ، وأخيرا الارهاب والعنف كلها وسائل مشروعة لديهم في تأسيس هذه المنظمات التي يخدعون بها « المغفلين » على حد تعبيرهم عن غير اليهود » (١)

. * .

ومن ناحية أخرى فان الهدف الاساسي للحركة « الماسونية » ولفروعها ونظائرها هو هدم الروح الديني والقضاء تماما على عاطفة التدين بين الناس جميعا ..

وعندما عقدت « الماسونية » مؤتمر المشرق الاعظم » سنة ١٩٢٣ م وقف رئيس المؤتمر ليقول ما نصه

« يجب سحق عدونا الازلي . الذي «هو الدين » مع ازالة رجاله » .

« ان رجال الدين يحاولون عن طريقه السيطرة على أمور الدنيا . وعلينا ألا نألوا جهدا في التمسك بفكرة « حرية العقيدة » . والا نتردد في شن الحرب على كافة الاديان ، لانها العدو الحقيقي للبشرية (؟!) ولانها السبب في التطاحن بين الافراد والامم عبر التاريخ .

---

١ - انظر ص١٠٢ من بروتوكولات صهيون . ترجمة : التونسي

« لابد لنا أن نكافح بجهد أكبر لادامة القوانين والانظمة اللادينية، لان السلطة المطلقة التى صنعهـا رجال الدين على وجه المعمورة قـد قاربت النهاية ، لا بل آلت الـى الزوال، وان غايتنا قبل كل شىء هى إبادة الاديان جميعا (١) »

• * •

ولعل هذا ما يجعل هذه المنظمات جميعا تطلب الى المشترك فيهـا أن يخلع عقيدته خارج الباب قبـل أن يدخل !!

ذلك لان التدين الحق ، هو العاصم الاول والاخير من التورط فى مثـل هذه المخططات مهما تكن ضراوتها ، ومن المحال أن تنجح محاولات الغزو الفكرى ولو استخدمت وسائـل الشياطين والجن فى تحريف الموقف الفكرى لانسان يعمر قلبه بنـور العقيدة ، ويستنير فكره بالفهـم الصحيح لشريعة الله ..

وكل الذين سقطوا فى حبائـل التنظيمات الغازية ، أتاهم العدو مـن نقطة الضعف فى التكوين الدينـى فكرا أو سلوكا ..

ولو تصورنا محفلا ماسونيا بكل جبروته يريد اصطياد شخص ما ، فالطرق عندهم هى « الرشـوة أو الاغراء الحرام بالمال .. وهـذا السلاح لابد أن ينكسر على صخـرة نفس نقية يستحيل على صاحبها أن يمد يده الى حرام ، أو يسمح للحرام ولو كان لقمة من طعام ـ أن تسقط فى جوفه ..

فاذا دخلوا عليه من باب شهـوة الفرج عن طريق الجميلات الفاتنات فستفسد المحاولة أيضا اذ يواجههم انسان يغض عن الاذى عينـه ، ولا يكشف ذيله الا على الطيب الحلال .. وهكذا فى كل الوسائل ، التى لابد أن تتحطم جميعا على صخرة التماسك الذى يصنعه الدين فى النفـوس ، ويعصمها من الانهيارات ..

وعندئذ ربما لجأ الغازون الـى التهديد بالعنف أو ممارسته بالفعل وفى هذه الحال تطيش السهام أيضا لان الرجل المتدين لايخشى فى الحق لومة لائم ، ولا يقعد به العذاب ، ولو بلغ مثل ما نزل بأصحاب الاخدود ـ عن الصدع بكلمة الحق والتأبى على الباطل .

---

١ ـ اسرار الماسونية للجنـرال رفعت أتلى خان ـ الترجمة ـ ص٢١

وحتى لو نالته قوة الغزاة واستطاعوا قتله مثلا فلن يكون عليه من بأس لانه سيلقى الله وعلى صدره وسام شهيد ..

الدين اذن هو العاصم الاوحد من السقوط في حبائل الغزاة .. وليس من وقاء غيره ، وكل السياجات التي تقام بعد ذلك من الوعي ، أو التبصر أو سعة الافق وما اليها انما هي تفاصيل وفروع للاساس الاكبر الذي يتم عنده الامان وهو الاعتصام بالدين .

ومن هنا كان من الطبيعي أن تعلن الماسونية كما أعلنت البروتوكولات حرصها الشديد على تحطيم الاديان ونزع قداستها من النفوس لان تحطيمها بمثابة تحطيم القوة الاساسية في أي جيش وعندها يتم الاستسلام .. والانهيار ..

وربما كانت لنا وقفة عند اساليب الغزاة في تحطيم روح التدين ولنعد ثانية الى حديث الماسونية وسأحاول اجماله في نقاط

. * .

أولا : ترفع الماسونيه شعار التسامح ، واحترام الغير بصرف النظر عن نوع عقيدته .. والتسامح المطلوب هنا من أغرب الانواع .. لانه تسامح الضعيف مع القوي وليس بالعكس .. أي هم يريدون أن نتسامح معهم حين يغزون أفكارنا ، ويشوهون عقيدتنا .. وأي مقاومة من جانبنا تعتبر – في هذه الحال – تعصبا وضيق أفق وعدم تسامح ؟!

ولست بحاجة الى الحديث عن التسامح الاصيل الذي مارسه المسلمون مع عدوهم ، والذي زاد عن حده حتى تمكن الاشرار من الغزاة والمخربين من استغلاله اسوأ استغلال

والفرق الحقيقي بين التسامح والتعصب هو الفرق بين موقفنا مما هو حق وماهو باطل من ناحية وبين الامور الشخصية وحقوق العقيدة من ناحية ثانية ..

ففي الامور الشخصية التي لاتشكل خطرا على الامة أو على دينها يمكن للفرد أن يتسامح ، وهو في هذه الحال يكون في مقام العفو أكثر منه في مقام التسامح .. لانه ينزل عن حق خاص بشخصه ..

أما حين يكون الامر أمر العقيدة أو أمر الصالح العام للأمة لجماعة المسلمين فهنا يصبح التسامح لا غفلة فحسب بل هو جريمة كبرى وخيانة لله ورسوله ولعامة المسلمين ..

التسامح فى هذه الحال مثـــل تسامح الحرس فى جيش فى قلـب معركة لفريق مسلح من جنود العدو بأن يدخلوا الى معسكرنا ويمارسوا فيه القتل والتخريب ، ثم يؤذن لهم أن يخرجوا كما دخلوا بسلام ..

ان هذا تسامح الخونة .. بـل تسامح المغفلين والاغبياء اذا أحسنـا الظن ..

• * •

ثانيا : ترفع الماسونية شعـــار « الحرية والاخاء والمساواة » وتزعـم أنه دستورها الذى لا يتبدل وهـذا الشعار ، ذو مكانة ملحوظة فـــى بروتوكولات حكماء صهيون ، وهـو يمثل واحدا من شعارات الخديعـــة التى قررت أساسا للعمل كما نص البروتوكول الاول : « يجـــب أن يكون شعارنا : كل وسائل العنـف وكل وسائل الخديعة » .

وكل شعوب العالم تعرف معنـى الزيف البالغ فى شعار « الحريـــة والاخاء والمساواة » الذى سلبه شعار « العنف » كل حقيقة، وحل محلـه عندهم فى كل التطبيقات شعـــار « الحق للقوة » .

لست بحاجة لان أفضح هـــذا الزيف لانه واقع ملموس فى كـــل ألوان التعامل السياسى بين الاقوياء والمستضعفين فى شتى انحاء العالم .. حتى هذه الساعة .

وانما يعنينى ابراز الصلة بيـــن الشعار الماسونى وأصله الصهيونى، وذلك من واقع ماجاء فى البروتوكولات

يقول البروتوكول الاول :

« ان مبادئنا فى مثل قوة وسائلنا التى نعدها لتنفيذها .. وحسبنـــا أن يعلم عنا أننا صارمون فى كبـح كل تمرد ".

« كذلك كنا قديما أول من صاح فى الناس «الحرية والاخاء والمساواة» كلمات ما انفكت ترددها منذ ذلـك الحين ببغاوات جاهلة متجمهرة مـن كل مكان حول هذه الشعارات .وقد حرمت بترددها العالم من نجاحه ، وحرمت الفرد من حريته الحقيقيـــة الشخصية ، التى كانت من قبـــل مصونة من أن تخنقها السفلة .

ثم يقول :

« ان صيحتنا : الحرية والمساواة والاخاء » قد جلبت الى صفوفنـــا

فرقا كاملة من زوايا العالم الاربع عن طريق وكلائنا المغفلين • وقد حملت هذه الفرق ألويتنا فى نشوة بينما كانت هذه الكلمات ـ مثل كثير من الديدان ـ تلتهم سعادة المسيحيين • وتحطم سلامهم واستقرارهم ووحدتهم ، محطمة بذلك أسس الدول • »

• * •

ثالثا : تزعم الماسونية أنها منظمة هدفها بناء الانسان الحر بعيدا عن قضايا السياسة والدين ••

لكن الحقيقة الصارخة التى تعلن ـ بصفة خاصة ـ على أعضائها المنتمين الى محافلها السرية تثبت عكس ذلك

حيث تقول نشرة المشرق الاعظم الفرنسى سنة ١٨٨٦ م :

« كنا ندعى أنه لا علاقة لنا مع السياسة والدين •• هل كان هذا خداعا ؟

« الحقيقة أن خشيتنا من مطاردة قوى البوليس ومن القوانين تضطرنا لى اخفاء مقاصدنا

« نعم : نحن نشتغل بالسياسة وبالسياسة فقط فى محافلنا ، لا : بل بالسياسة العليا • وأكثر من •••

أن المحافل الماسونية تجند أعضاءها •• مهما تكن أوضاعهم الاجتماعية فى أممهم ـ ليصبحوا فى النهاية عيونا للماسونية ومنفذين ـ خونة ـ لاهدافها بين شعوبهم •

ومن أجل هذا فان الماسونية تساعد المنحرفين فى محافلها الى الوصول للمناصب الحساسة فى دولهم ليكونوا فى خدمة أهدافها ••

جاء فى كتاب « أسرار الماسونية » عن مؤتمر المحافل الماسونية سنة ١٨٨٤ م ما نصه :

يجب على الماسونيين الذين بيدهم زمام الأمور أن يأتوا بالماسونيين الى دست الحكم ، وأن يقربوهم من كراسيه وأن يكثروا من عددهم فيه » •

ويقول المصدر نفسه :

« فى وسع الماسونى أن يكـــون مواطنا (١)؟! على أن يكون ماسونيا قبل كل شيء ٠٠ وفى وسعه بعــدذلك (أى بعد أن يكــــون ولاؤه للماسونية) أن يكون موظفا أو نائبا أو رئيس جمهورية ، لكن عليــه أن يستلهم دائما الافكار الماسونية ٠

★ ◉ ★

« ومهما علت مكانته الاجتماعيــة فانه يستوحى مفاهيمه من المحفــل الماسونى لا من مكانته ٠

وقد مارست الماسونية دورهـــا هذا على نحو تطبيقى فى التمهيــد للثورة البلشفية فى روسيا ، وكان « ماركس » فيلسوف الشيوعية أحد أعضاء المحافل الماسونية العاملين ٠٠ وهى فى هذا تتفق فكرا وتطبيقــا وأهدافا مع الحركة الصهيونيـــة العالمية ٠٠

وفى بيان المشرق الاعظم الفرنسى سنة ١٩٠٤ م يرد ما نصه :

« أن الماركسية واللاقومية همـــا وليدتا الماسونية (سبق تحديــد العلاقة نفسها مع بروتوكولات صهيون) لان مؤسسيها كارل ماركس وانجلــز هما من ماسونى الدرجة الحاديـــة والثلاثين ومـــن منتسبى المحفــل الانجليزى ، وانهما كانا من الذيــن اداروا الماسونية السرية ، وبفضلهـا صدر البيان الشيوعى المشهور » ٠٠

★ ◉ ★

رابعا : لما كانت وجهتنا فى هذا البحث هى رصد الجانب الفكرى من تحركات الغزاة فلن أتابع النشـــاط الماسونى الا فى الاطار المتفق ومنهج البحث ٠٠

وعلى هذا يمكن رصد الـــــدور التخريبى الفكرى للماسونية فــى النقاط التالية :

• زعزعة الثقة فى الاديان تحـت الشعار الزائف لحرية العقيدة ، وقد أشرنا الى مدى الخطر الخطير فــى هذا الجانب ٠

وقضية الدين — من وجهة النظر الاسلامية — ليست قضية طقـــوس

---

١ — انظر كيف تتصرف الماسونية فــى أتباعها وكأنهم عبيد بلا ارادة شخصيــة او ارادة ، وأن المنتسب اليها يفقد كل حقوقه حتى يصبح حق الولاء للوطن منة تجود بها عليه الماسونية ٠٠ ومع هذا فالماسونية عندهم قبل الولاء للوطن ٠٠

أو مراسم عبادات كما هى عند غيرنا وانما هى قضية الحياة أو الموت ، ومن الزاوية الفكرية الخالصة هى أساس قضايانا جميعا على اعتبار أن موقفنا الدينى هو موقفنا من تصورالكون والحياة ، ومن ثم هو موقفنا الفكرى من الكون والحياة وطبيعة دورنا فيهما .. الدين عندنا هو الفكر .

تعتمد الماسونيه على السرية المطلقة ، وأعظم تعاليمها تتم على نهج شفوى ..

ولو كانت فكرا بناء لاعلن أصحابه عنه دون حذر . ولقدموه الى الناس بوضوح ليقارع غيره من الافكار فاما أن ينبت أو يزول ..

◉ تعتمد الماسونية على السرية « دنيوية » تهدف الى رفعة أعضائها فى الدنيا ..

وهذا من وجهة نظرنا الاسلامية موقف تخريبى فكرى ،فالدنيا والدين عندنا وحدة لا انفصام بينها والرفعة فى الدنيا — من وجهة نظرنا الاسلامى — يجب أن تتم فى اطار التشريع وفى حراسة الروح المتدين

◉ نعتبر الماسونية نفسها اتفاقية محافلها بدعوى أن الماسونى يجب أن يكون حرا ؟!

وهذه محاولة خبيثة لفصل قضية الحرية عن قضية الدين .. وهما عندنا نحن المسلمين قضية واحدة وأساشريعتنا هو تحرير الانسان من كل الطواغيت والقوى وعوامل القهر الارضى التى تحول بين الانسان وبين معرفة خالقه من جهة وتحول بينه وبين دوره الرفيع فى قيادة الحياة والارتقاء بمستواه البشرى من ناحية ثانية .

◉ لا تقبل الماسونية المتدينين فى الى محافلها الى أجهزة الحكم والقيادة بعد أن تضمن ولاءهم لها قبل ولائهم لمعتقداتهم ولاوطانهم ..

ومعنى هذا من الزاوية الفكرية — احداث زلزال فى نوع القيم النظيفة التى ينبغى أن يكون عليها من يتصدرون الحياة ويلون أمر الناس . فالاصل فى أهلية الراعى لتولى الرعية هو أن يكون صالحا بالمقاييس التى حددها الاسلام، وهى وحدها التى تضمن الاستقامة والعدل أما — مع الماسونية — فلا يلى أمر الناس الا الخونة والعملاء .. وحسبك بهذا من كارثة ؟!

• تهدف الماسونية الى تكوين حكومة لاتعرف الله ..

وقد جرب العالم — على الطبيعة —هذه الحكومة فى التجربة الشيوعية الكبرى فى الاتحاد السوفييتى وتبين فيها بوضوح مدى التخريب الفكرى الذى تحول به الانسان من آدميته التى كرمه بها خالقه سبحانه الى حيوان ذى معدة وفرج وحسبه — فى ظل الشيوعية — أن يصل الى اشباعهما وليس له بعد ذلك الا أن يعمل مسخرا للانتاج ، كما تعيش الدواب وحسبك بهذا ردة الى عصور الغاب فيما قبل الشرائع والرسالات

◉ وتعتبر الماسونية أن نضالها ضد الدين لا يبلغ غايته الا بفصل الدين عن الدولة ..

واذا جاز هذا مع غير شريعتنا فهو عندنا نحن المسلمين مرفوض مرفوض ، فالدين عندنا هو الدولة والعامل المخلص لعمله فى أى موقع كأنه فى صلاة، وعندنا لا منافاة على الاطلاق بين السلوكين الدينى والدنيوى ..

وأفضل الجهاد — فى شريعتنا كلمة حق عند سلطان جائر .. والرجل شريعتنا يتقرب الى ربه وينال مثوبته حين ينفق على أهل بيته وحين يطعم زوجه من كسبه الحلال — بل أنه يمارس تدينه فى اللحظة التى يعاشر فيها زوجه متى قصد بذلك أن يعفها ويعف نفسه .. فلا انفصام بين الدين والدولة عندنا على الاطلاق ..

◉ تنكر الماسونية حق الآباء على أولادهم فى التوجيه والطاعة والرعاية .. وتدعو الى نقض هذه السلطة ؟! وتحويلها الى المحافل الماسونية ..

وهذا الحق — ليس تسلطا — كما يصورونه ، وانما هو الرعاية والولاية وحسن الاسوة ، وليس على اطلاقه — فى الاسلام — بدليل أن الاب حين ينحرف ويضل لاتكون له طاعة « **وان جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما** » .. (١) .

أما فى الاحوال العادية فالاحسان الى الوالدين قرين عبادة الله : « **وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا** » (٢)

وبهذا التواد والاحسان تستشعر الاسرة الانسانية طعم الحنو والتعاطف الذى هو من فطرة الانسان فاذا أهدرت هذه العلاقة فمعناها — فكريا — التدنى بالانسان الى ماهو أسوأ من الحيوان ..

✶ ◉ ✶

---

١ — سورة لقمان / ١٥   ٢ — سورة الاسراء / ٢٣

ولعل أهم ما نختتم به هذا الحديث عن « الماسونية » باعتبارها أنشط الجمعيات التى ينشئها الغزاة لتخريب فكرنا من الداخل هو ماجاء مستفيضا عنها فى البروتوكول الخامس عشر الذى يحدد طبيعة دورها فى حركة الغزو اليهودى للفكر البشرى، وخططها البشعة فى التكتيك والتخريب ، كما يبين نوع الناس الذى ينخدعون بها وحالات الضعف والتمزق النفسى التى توقعهم فى حبائلها حيث يقول ما نصه : (١)

« اننا كنا الشعب الوحيد الذى يوجه المشروعات الماسونية ، ونحن الشعب الوحيد الذى يعرف كيف يوجهها ، ونحن نعرف الهدف الاخير لكل عمل نقوم به • على حين أن الاميين (غير اليهود) جاهلون بمعظم الأشياء الخاصة بالماسونية •

وهم بعامة لا يفكرون الا فى المنافع الوقتية العاجلة ، ويكتفون بما يرضي غرورهم ، ولا يفطنون الى أن الفكرة الاصلية لم تكن فكرتهم بل نحن انفسنا الذين أوحينا اليهم بها •

« والاميون يبحثون عن عواطف النجاح وتهليلات الاستحسان ، ونحن نوزعها جزافا بلا تحفظ ولهذا نتركهم يظفرون بنجاحهم لكى نوجه لخدمتنا كل من تتملكهم مشاعر الغرور ، وبمن يتشربون أفكارنا عن غفلة واثقين بأنهم هم أصحاب الاراء

سنتركهم يركبون فى أحلامهم على حصان الآمال العقيمة لتحطيم الفردية الانسانية بالافكار الرمزية لمبدأ الجماعية ؟!

« انهم لم يفهموا بعد ، ولن يفهموا أن هذا الحلم - يعنى حلم العيش تحت مبدأ الجماعية - مناقض لقانون الطبيعة الاساسى ، الذى على أساسه خلق كل كائن مختلفا عن كل ما عداه ؟!»

أما النهاية اللائقة التى يدخرها اليهود لاعضاء المحافل الماسونية من الاميين (غير اليهود) فهى النهاية اللائقة جدا بكل مغفل أو مخدوع تغريه الامانى الجوف من شهرة أو منصب أو غيرهما فيقدم عنقه لسكين الجزار من حيث لا يدرى ••

يقول البروتوكول الخامس عشر :

« اننا سنقدم الماسون الاحرار الى الموت بأسلوب لايستطيع معه أحد -

---

١ - البروتوكولات ص ١٥٣ الترجمة التونسى

الا الاخوة (يعنى شركاء الجريمة)ــأن يرتابوا أدنى ريبة فى الحقيقة ، بل ان الضحايا أنفسهم لن يرتابوا فيها سلفا ..

« وبمثل هذه الوسائل نستأصل جذور الاحتجاج نفسها ضد أوامرنا فى المجال الذى يهتم به الماســـون الاحرار ؟!

* * *

سابعا : التعبئة الاعلامية المركزة للفكرى الغازى

ولقد نسائل أنفسنا بعد كل ما سبق :

كيف يستطيع الغزاة خداعنا عن أنفسنا على هذا النحو المذهل، الذى نبدو معه وكأننا بلا أفئدة أو كأننا نواجه المخاطر بأعين معصوبة ؟! كيف ..

وجوابنا على هذا التساؤل الذى نراه خطيرا :

أن القوم يسيرون فى غزوهم لافكارنا وفق مخطط مدروس نقحته مئات التجارب وجعلته أشبه بالحقائق العلمية المطردة ..

وأول معالم الطريق عندهم هو محاولة الفهم العميق للانسان الذى هو موضوع الغزو – والتعرف على جوانب القوة وجوانب الضعف فى شخصه . وأى الطرق يكون أسرع الى قلبه وأيها يكون اكثر استحواذا عليه .

والانسان الذى اهتم به الغزاة أولا هو الفرد فى مختلف مراحل تطوره منذ الشباب .. بل منذ الطفولة الى نهاية العمر .. وفى كل مرحلة منها يحاول الغزاة أن يحاصروه من كل اتجاه من المنزل الى المدرسة الى النادى الرياضى الى ملتقيات الفكر والثقافة والفن ، الى ميادين التنافس فى المباريات والرحلات ومعسكرات الكشف الى مكتبه الذى يعمل به ، الى جامعته التى يدرس بها .. وغير ذلك ..

بل ان هذا الحصار للانسان ليجاوز الخارج فينفذ الى أعماق النفس بحثا عما فيه من غفلة وسذاجة ، أو من غرور وطموح ، أو من صلابة وعناد أو ميل الى المال أو النساء ، أو السطوة ، أو الشهرة .. وما اليها ومن دراسة هذا كله يبدأ التخطيط الملائم لكل حالة ..

وثانى معالم الطريق عندهم قوامها الاعتقاد العجيب – والصحيح – بأن كل انسان يمكن أن يؤتى ويتم اخضاعه الا صاحب الدين والعقيدة

القوية ، ومن ثم يعتبرون أهل الدين في كل مكان أعده أعدائهم ، وحين يتعاملون معهم لا يواجهونهم باسلوب مباشر أبدا ، وانما بمحاولة أغراقهم فى طوفان من فساد المجتمع الذى يحيط بهم حتى يصبحوا مشلولى الحركة عاجزين عن التأثير ‥ والادارو من حولهم بشكل اخر يسخرون فيه قوة السلطان أو قوة الارهاب والبطش للتخلص منهم ·

وثالث ما ينطلقون منه فى تحركهم ايمانهم غير المحدود بأن الاصفر الرنان — على حد تعبيرهم — وهو الذهب يمكن أن يفعل المعجزات وهو العصب الذرم فى حالتى الهجوم والدفاع ومن يمتلكه يمتلك كل أسباب القوة ، ومن هذه الناحية كان مخططهم الذى نجحوا فيه هو الاستحواذ على المال ، وقد أثبتت لهم التجارب الضخمة كيف استطاعوا التأثير به ‥ وخاصة فى التجربة الكبيرة الشهيرة ، تجربة تقويض القيصرية الروسية واشعال نيران الثورة البلشفية ‥

ولو نظرنا فيما سبقت الاشارة اليه لامكن اعتباره من « امكانيات العمل » ‥ لكن أولى الخطوات فى التحرك الغازى تعتمد على الايمان العميق عندهم بدور أجهزة الاعلام ·

وقبيل اختراع « الراديو » ثم « التليفزيون » و « التليستار » و الاقمار الصناعية ‥ قبل هذه جميعا كانت الكلمة المكتوبة وخاصة فى الصحافة ··· هى الوسيلة الوحيدة لنقل فكرة الغزاة الى الاخرين

ومن ثم كانت خطتهم ضرورة استخدام الكلمة لخدمة هدف معين يحدده « البروتوكول الخامس » فى قوله (١) :

« ان المشكلة الرئيسية لحكومتنا (الحكومة الخفية ، العالمية التى يعملون لها) هى : كيف نضعف عقول الشعب بالانتقاد وكيف نفقدها قوة الادراك ، التى تخلق نزعة المعارضة ، وكيف نسحر عقول العامة بالكلام الاجوف ‥ »

ويقول « البروتوكول » :

« يجب علينا أن نتسلط على حكومات الاميين « غير اليهود » بما يقال له « الرأى العام » ‥ متوسلين بأعظم القوى جميعا وهى الصحافة · وانها جميعا لفى أيدينا الا القليل الذى لا نفوذ له ، ولا قيمة يعتد بها »

---

١ — البروتوكولات ص ١١٧ ترجمة التونسى

ويزداد «البروتوكول الثانى عشر» صراحة وتفصيلا لمهمة الصحافة والنشر فى عمليات الغزو الفكرى حيث يقرر ما نصه :

وسنعامل الصحافة على النهج التالى .. اننا سنسرجها وسنقودها بلجم حازمة ، وسيكون علينا أن نظفر بادارة شركات النشر الاخرى .. فلن ينفعنا ان نهيمن على الصحافة الدورية بينما لانزال عرضة لهجمات النشرات والكتب . »

ثم ينتقل من السيطرة على النشر الى السيطرة على الخبر المنشور عن طريق « وكالات الانباء » التى يخضعونها لسطوتهم فيقول مانصه :

« ولن يصل طرف من خبر الى المجتمع من غير أن يمر علينا ، وهذا ما وصلنا اليه فى الوقت الحاضر كماهو واقع »

ويقول :

« الادب والصحافة هى أعظم قوتين تعليميتين خطيرتين ، ولهذا السبب ستشترى حكومتنا العدد الاكبر من الدوريات ..

« وبهذه الوسيلة سنعطل التأثير السيء (١) لكل صحيفة مستقلة ، ونظفر بسلطان كبير جدا على العقل الانسانى ..

« يجب أن لايرتاب الشعب أقل ريبة فى هذه الاجراءات ، ولذلك فان الدورية التى ننشرها ستظهر كأنها معارضة لنظراتنا وارائنا فتوحى بذلك الثقة الى القراء »

وبعد حديث طويل عن الاجراءات يكشف « البروتوكول » عن بعض أساليب التأثير بالصحافة فيقول :

سنكون قادرين على اثارة عقل الشعب وتهدئته ..

.. وسنكون قارين على أقناع الناس أو بلبلتهم ، بطبع أخبار صحيحة أو زائفة ، وبنشر الحقائق وما يناقضها ، حسبما يوافق غرضنا .

« وان الاخبار التى سننشرها ستعتمد على الاسلوب الذى يتقبل به الشعب ذلك النوع من الاخبار ، وسنحتاط دائما احتياطا عظيما لجس الارض قبل السير عليها »

---

١ — يعنى تاثيرات الصحف والاقلام التى تناهض الغزو الفكرى .

• * •

ان هذا الكلام يوضح تماما مدى اهتمام الغزاة بدور أجهزة الاعلام والتى بدأت بالكلمة المكتوبة عن طريق الصحافة والنشرات قبل أن تعرف الكلمة المرئية ..

وقد صلوا – فعلا – الى سيطرة تامة على جميع وسائل الاعلام وأصبح فى تأثيرهم فى المجتمع الدولى أخطر من تأثير قواهم العسكرية والاقتصادية ..

ولتوضيح مدى النجاح الذى أحرزه اليهود – باعتبارهم أخطر أعدائنا وأخطر غزاتنا الفكريين فى أن أضع أمام القارئ الكريم بعض الحقائق البالغة الاهمية لصورة من سيطرتهم على الصحافة فى لندن مثلا والتى قررها أحد الباحثين المخلصين(١) وأنقلها ببعض التصرف :

« تجيء الصحافة بعد الذهب الاسترلينى مباشرة وهما فى قبضة اليهود فى بريطانيا • فكانت الصحافة السلاح الفعال الذى أوجده الذهب اليهودى من أجل تحقيق أهداف الحكومة اليهودية المستورة على النحو التالى :

• سيطر اليهود تماما على جريدة التايمز اللندنية منذ انشائها سنة ١٧٨٨ م بواسطة أموال اليهودى « روتشيلد » •

« انشاوا جريدة – الديلى تلجراف وفى سنة ١٨٥٥ م اشتراها اليهوديان • موزس ليفى ، ليفى لاوسن » •

– سيطروا بطريق مباشر أو غير مباشر على الصحف التالية :

الديلى اكسبريس، النيوز كرونيكل الديلى ميل ، الديلى هيرالد ، المانشستر جارديان يوركشاير بوست

ايفننج نيوز ، ايفننج استاندارد، الاوبزرفر ، نيوز أف ذى ورلد ، صنداى تايمز ، صنداى كرونيكل ، الايكونوست ، فاينانشال تايمز ، فانيانشال نيوز ، ذى سكتش ، ذى جرافكيو •

هذا بالاضافة الى خمسين جريدة ومجلة يومية واسبوعية وشهرية

---

١ – الأستاذ عبد الله ألتل فى كتابه :« خطر اليهودية العالمية على المسيحية والاسلام ص ١٨٦ ومابعدهما نشر دار القلم

يهودية خالصة تحمل أسماء اليهود صراحة ،

ثم يضيف الباحث :

« وسيطر اليهود على وسائل الاعلام الاخرى : الاذاعة والسينما والمسرح والملاهى ، ليؤمنوا من خلالها عملية تدمير أخلاق الشعب واخراجه من دينه ، وتحويله الى قطيع أعمى يخدم اليهودية العالمية والصهيونية »

ومثل ذلك فى فرنسا ، وروسيا .

أما الولايات المتحدة فيمكن اعتبارها ـ دون مبالغة ـ مستعمرة يهودية صهيونية .

* ★ *

ويعتمد الغزو الفكرى فى المجال الاعلامى على المهارات الاتية :

أ ـ تقديم الاباطيل على أنها حقائق ومسلمات :

وهم يفعلون ذلك بجرأة عجيبة ،وقدرة على الاستعلاء بالباطل ليس لها نظير ، يدفعهم الى هذا ايمانهم الذى تزكيه تعاليمهم بان غيرهم من الناس انما هم مغفلون وبهائم » ..ومهما يكن باطلهم مفضوحا تناقضه الوقائع والاحدات فانهم لا يكفون عن متابعة اداعاءاتهم ..

وعلى سبيل المثال : فان قضية « الشيوعية » مع ماهو بديهى من مناهضتها للفطرة ، وشذوذها فان اجهزة الدعاية الغازية ركزت وتركز على أن فيها الخلاص من ظلم الانسان للانسان ، أو انها التى تحمى ـ الطبقة العاملة من سيطرة رأس المال .. مع أن الثابت بالممارسة والتجربة القائمة أن الانسان لم يظلم فى أى نظام كما ظلم فى التجربة الشيوعية ولم تهدر كرامته كما أهدرت فيها .

ومع هذا يستمر القوم فى التبجح ومحاولة اغراء بقية شعوب الارض بممارسة هذه التجربة .

* ★ *

ب ـ التكرار والتنوع :

بمعنى أن الفكرة التى يراد الترويج لها فى المجتمع المطموع فى غزوه ، لاتعرض بوجه واحد من وجوه العرض ، وانما تتعدد الطرائق

انظر هذا المعنى الذى يتردد كثيرا فى التلمود والبروتوكولات واسرار الماسونية

وتتكرر حتى تنتهى الى احـــــداث التأثير المطلوب .

بمعنى أن يبدأ عرض الفكرة في شكلها المجرد ، ثم تعقد بعد ذلــك ندوات ولقاءات لشرحها وبيان مزاياها ثم يقوم نموذج « مصنوع » للفكرة فى تطبيق بعينه لها .. ثم يكلف أحد الغزاة باعداد دراسة « علمية ؟! » عنها . ثم تفتعل المناقشات ويجري الحوار ..

ومن ناحية الشكل يتم التنويع أيضا فى أساليب الدعاية للفكـــرة الغازية .. فهى أولا تنشر فى كتاب أو فى صحيفة ..

ثم تحول الى عرض مشخص عن طريـــق السينمـــا أو المسرح أو التلفزيون

وفى هذه الوسائل جميعا يكون الهدف واحدا ، وإن تنوعت الزوايا التى يتم من خلالها التناول ..

ج ــ الاعتماد على بعض مشاعر النقص لشل حاسة النقد والمعارضة

وقد استغل الغزاة هذه النقطـــة استغلالا خبيثا وواعيا منتهزيـــن فرصة الجزر السياسي وحالة التخلف التى أصابت شعوبنا فاخذوا فـــى تقديم صورة « الرجل الابيـض » أو « الخواجا على أنه المنقـذ والمخلص » والذى يمكن بالاقتداء به بلـــوغ المراد ..

ولما كان أكثر الناس ــ عـادة ــ سطحيين وبسطــاء وخاصة فـــى المجتمعات التى تسودها الاميــــة بمختلف أشكالها .. ولما كان الذين يدركون الحقائق ويعرفون الخصائص الاجتماعية لتطورات الشعوب .. لما كان هؤلاء قلة وتكون ــ عـــادة ــ مغمورة ومنزوية ..

لذا لم يتردد الغزاة فى الامساك « بالثور من قرنيه (١) » وتوجيهــه كما يريدون ..

الرجل الابيض هو القوي والمتفوق .. : وها أنت ترى بعينيك تفوقه ؟!

انه يعيش حياته بطريقة غير التى تعيش بها ..

اذا شئت أن ترتقى مثله فافعل فعله . .

واذا لم تفعل فانت رجعى ..

---

١ ــ التعبير على قسوته مقتبس حرفيا من البروتوكولات .. وهذا بالضبط وصفهم لنا ورأيهم فينا .

ماذا ؟!

أنت رجعى .. متخلف .. متعفن .. بالكارثة ؟ كيف تبقى كذلك !
قم .. وضع قدميك على الطريق التى تدلك عليها ..

عش حياتك بلا قيود .. بلا هم .. بلا دين .. كن عصريا .

وتستمر « الاسطوانة » فى الدوران .. والتأثير .. والمستمع لا يفهم .. والقارىء — مع الاسف — أعمى — وعندئذ تكون الكارثة ، ويبلغ الغزاة ما يريدون ..

وأحب فى هذا المقام أن ألقى حزمة من ضوء على منطقة الظل التى يختلط الامر فيها على بعض الناس فيخلطون مابين التطور والتحلل .. ويتوهم أحدهم أن المعاصرة والتمدن انما هى فى العربدة أو التفلت من كل الضوابط، أو فى بعض مظهريات معينة فى أمور اللباس والمعيشة والعلاقات الاجتماعية ..

أقول فى هذا : ان التطور غير التقليد والتحلل ..

التطور لايتم أبدا الا من خلال كيان ملىء لديه ما ينفق منه ،ولديه امكانية تقويم واقعة فى مواجهة ظروفه ، وبالتفاعل البناء بينهما يحدث الانتقال — طبيعيا — من وضع الى وضع .

أما التقليد والتحلل فهما سمة الفارغين أفرادا كانوا أم شعوبا .. المقلد يفعل ما يفعل لانه خاو وأجوف فلا يملك الا أن يستعير ويقلد .. وهو لفراغه وخوائه يصعب عليه استعارة الشىء النافع ، لان تكاليف المنفعة دائما أثقل ..

أما التحلل والمظاهر فما أهونهما ..

• ✶ •

ونحن — من موقع الفكر الاسلامى لا نعادى أى تقدم بل ننشده ونتمناه ونعمل له .. فهكذا علمنا ديننا .. أما السطحية والتقليد الاعمى ، وايثار الطريق المحفوف فقط بالشهوات فمصيره عندنا هو النار سواء فى الدنيا أم فى الاخرة ..

• ★ •

ويبقى لنا فى ختام هذا البحث الموجز أن نقف أمام نقاط ثلاث ،ذات صلة بالموضوع ولا يمكن تجاوزها .

أ ـ ممارسة الغزاة لالوان من الضغط السياسي أو الاقتصادى لترويج أفكارهم ..

ب ـ تجنيد بعض مثقفى المسلمين ممن سبق اتمام تغريبهم لخدمة الفكر الغازى ..

ج ـ التسلل الى بعض الحكومات لفرض فكر الغزاة ..

أما النقطة الاولى فهى من النقاط الشائكة التى تدخل فى باب « الضرورات » أحيانا ، فبعض شعوبنا كانت ـ وربما لاتزال ـ تعانى من التخلف السياسي والاقتصادى والاجتماعى ، ويضطرها ذلك الى طلب المعونة من الدول الغازية ..

وهنا نقع بين شقى الرحى ..اما الجوع واستمرار التخلف .. واما قبول الفكر مع المعونة ..وغالبا يتم الاستسلام ..

وقد أحسن الغزاة استخدام هذه الحالة وما يزالون .. لكن من فضل الله علينا وعلى الناس أن الظروف الاقتصادية فى كثير من بلدان عالمنا الاسلامى آخذة فى التحسن اما باكتشافات جديدة لمصادر الثروة فيها أو بحسن الاستخدام الجديد للموجود منها .. وفى ظنى أن عامل الزمن يمكن أن يجتاز بنا هذه الحالة ..بحيث لو أغلقنا بقية المنافذ لاستطعنا بالتخطيط الواعى أن نفلت من الخطر

ذلك لان المسلمين ـ والعرب منهم بوصف خاص ـ يملكون اليوم أهم مصادر الطاقة فى العالم وهو البترول كما أن بوسعهم تحقيق الاكتفاء الذاتى انتاجا تسويقا داخل رقعة الارض الشاسعة التى يسيطرون عليها باستخدام الوسائل العلمية الحديثة .. لكن هذا يحتاج أولا وأخيرا الى منطلق فكرى وعقائدى يمكن لهم ـ كما مكن لاعدائهم من قبل أن يبلقوا الكثير . وحسبنا أن نشير الى أن للعرب مثلا أرصدة مالية ضخمة ومذهلة متكدسة فى بنوك الاعداء ، ولو وجهت هذه مع الثروة البترولية لصالحنا لتحول الموقف بلا جدال . لان العمق البشرى والجغرافى المعادى للخط الصهيونى فى اسيا وافريقيا وغيرهما لايمكن اغفاله .

. * .

أما النقطة الثانية الخاصة بتجنيد بعض مثقفى المسلمين لخدمة الفكر الغازى فهى الخطر الاعظم وفى « بروتوكولات حكماء صهيون »

نصوص صريحة لاستغلال هـــــذه الحالة بل انهم يعتبرونها من أنجح وسائلهم فى السيطرة ٠

وقد مر زمن طويل ونحن نسلم فلذات أكبادنا الى اعدائنا كـــــى يصوغوهم كما يشاءون، سواء عـــن طريق ايفادهم الى الخارج فى مرحلة الشباب الغض الذى لم تكتمـــــل حصانته الفكرية والخلقية ، أو عـن طريق تعليمهم فى مدارس الارساليات وبعثات التبشير التى اتسع انتشارها فى ديارنا ٠ أو عن طريق اســـلام مقاليد السياسات التعليمية فــــى ديارنا لايدى الغزاة مباشرة كتلـــك الفترة القاسية التى عاشتهـــا بعض بلدان العالم الاسلامى تحت وطـأة الاحتلال الاجنبى ، كما كان الحـــال فى «مصر» فى الفترة التى تولى فيها القس المتعصب ـ دوجلاس دنلوب ـ أمر وزارة المعارف فى مصر ٠٠

٠◉٠

والخطر فى هذه الحالة أنهـــا تنقل الاستعمار من الارض الى العقول والقلوب ، ومعروف أن الاستعمـــار بالجيوش أخف وطأة من الغــــزو الثقافى ، لان الاول ينظر اليه دائما كعدو ووجوده فى الامة يذكى روحها النضالية حتى تخلص منه ٠

أما استعمار العقول والقلـــوب فالكارثة فيه أن ضحاياه لا يظنـــون أنهم مستعمرون ، بل على العكـــس يفخرون بما بلغوه من ثقافـــــة ، ويدافعون بحماس عن فكرهم الـــذى هو فى الحقيقة فكر الغزاة ،ويأخذون فى التمكين له من حيث لا يشعرون

٠ ✶ ٠

وتجدر الاشارة هنا الى أنه ليس كل من تعلم فى مدارس الارساليات أو ابتعث الى الخارج قد ضاع مـن أمته ٠٠ بل انى أعرف كثيرين تلقوا تعليمهم فى قلب معاقل الغـــــزاة فدفعهم ذلك الى اتخاذ الموقف المضاد موقف الاعتصام بدينهم وتقاليد أمتهم وكان بعضهم خصوما ومقاتلين أشداء لفكر الغزاة وثقافتهم ٠٠ دفاعا عـن الذات وعن القيم ٠٠

لكن المشكلة ماتزال قائمـــة ٠ ٠وهى مع خطرها لا تستعصى عـــلى العلاج ٠٠ اذ من الممكن تلافيهـــا بالاكثار من الدراسات العليا فـــى جامعاتنا ومعاهدنا ، وعدم التوسع فى سياسة الابتعاث الا فى التخصصات التى نفتقدها عندنا ٠٠ وبحيـــث يرسل شبابنا الى ديارهم الا بعد أن

يستخصد عوده ، ويتم تكوينه فكرا وسلوكا على نحو اسلامي واع ومستنير .

* ◉ *

أما النقطة الخاصة بتسلل الغزاة الى بعض الحكومات الاسلامية ، فهي أخطرها جميعا وحين يبلغها الغزاة تكون انذارا ببداية الطامة الكبرى . لان بلوغها معناه وضع جميع امكانيات الدولة وسلطانها لخدمة الفكر الغازي ، وفي هذه الحالة تتعذر المقاومة الا بانتفاضة عارمة يقوم بها جمهور الامة لرفع هذا البلاء ..

والامثلة في هذا لا تكاد تخفى ، ونشير منها الى بعض الحكومات الاسلامية التي أسلمت نفسها لتيارات فكرية هدامة ، وأخذت تمارس في ديارها عمليات استئصال جذور الفكر الاسلامي ومظاهره بضراوة وجرأة لا يقوى عليها أي عدو ..

* * *

وأذكر في هذا المقام موقفا بعينه أذكره للتاريخ والعبرة كان بيني وبين وزير الشباب (١) عندنا في مصر . حين طلع علينا ذات يوم — وبلا مناسبة — بتصريح الى جريدة الاخبار القاهرية يطلب فيه قطع الوشائج مع تراثنا كله ، والتخلص منه باعتباره عقبة في سبيل التقدم .

وكان لي — مع اخرين — شرف الرد عليه وافحامه حتى اضطر الى الانسحاب والاعتذار على صفحات الجريدة نفسها ..

ولقد طالعت بألم شديد وأنا اكتب هذا البحث نداء المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي الموجه الى جمهورية الصومال الشقيقة يناشدها فيه ألا تتورط في التبعية للمخطط الماركسي وأن تبقى على ولائها لدينها العظيم .. طالعت هذا وكنت أقول : لقد جئنا متأخرين .. لان الغزاة

---

١ — هو الدكتور صفي الدين ابو العز ، والذى أطاحت به وبمراكز القوى التى كان يستند اليها حركة التصحيح المصرية التى قام بها الرئيس السادات فى مايو سنة ١٩٧٢ وموقف اخر مع الدكتور المصرى لويس عوض الذ بلغت به القحة الان يتهجم فى صحيفة — الاهرام — على كتابنا الاقدس . وحين رددت عليه رفض « هيكل » رئيس تحرير الاهرام السابق ان ينشر لى فاخذت احتال حتى نشر الرد فى مجلة « اخر ساعة » المصرية ..

سبقونا • وكان من فضل الله أن تبنت الحكومة الصومالية مواطن الخطر وأخذت مشكورة فى تعديل موقفها • والاستجابة الى نداء الاخوة •

• * •

ملاحظات حول الموضوع

وقبل أن أختم هذا الحديث المعجل فى أمر الغزو الفكرى أحب أن أشير الى مجموعة من الملاحظات الهامة :

أولا – هل هذا الغزو الفكرى لايمكن أن يقاوم •• ؟

وأجيب – بثقة وتفاؤل : ان مقاومته ممكنة ويسيرة •• لا أهون بهذا من حجم الخطر ، ولكنى أضعه فى حجمه •

فمن الملاحظ أن أساليب الدعاية المعادية تحاول بذكاء خبيث أن تصور الغزاة وخاصة الحركة الصهيونية بمشتقاتها •• تصورها بصورة القوى القاهرة التى لا تغلب والتى تخطط وتتحرك وكأن الكون كله فى قبضتها ، وأنها صانعة كل مايجرى فى العالم من وراء ستار •

واذا كان فى هذا بعض الحق والواقع فانه ليس دليلا على قوة العدو بقدر ماهو نتيجة للغفلة الطويلة التى عشناها من قبل منصرفين عن الفهم الصحيح لحقائق ديننا ومعادين له •

وفى اللحظة التى نحسن فيها البصر بما لدينا ، ونعتز بتراثنا ورصيدنا الروحى الحافل ، فلن يستطيع الاعداء مهما بذلوا أن ينالوا منا •• أو على أسوأ الاحتمالات لن يبلغوا غاياتهم الا على أشلاء الشهداء منا •

أقول هذا ، وبين يدى العديد من النماذج الاسلامية الطيبة التى كان أصحابها يعيشون فى قلب معسكرات الغزاة سنين وسنين ، ومع هذا كان هؤلاء المخلصون يزدادون ثباتا ويقينا كلما ازدادت حملات الغزو ضراوة من حولهم •• بل لقد استطاع بعضهم أن يفسد على الغزاة مخططاتهم غير مرة ، ويسجل عليهم الاخفاق والتضليل •

وبين عينى قبل هذا تلكم التجربة الجماعية الاخيرة التى عاشتها الامة العربية والاسلامية فى حرب العاشر من رمضان ••

فانها بصرف النظر عن اراء المحللين السياسيين – تعتبر فيما أرى علامة

بارزة مضيئة على أن اقتراب المسلمين من حمى دينهم ، واخذهم بشيء من خلائقه قد أتاح لهم أن يصنعوا تحولات لايمكن اغفالها فى حياتهم وحياة العالم كله من حولهم ..ومع اجتماع الاعداء جميعا علينا فى ساعة العسرة فان الروح الاسلامى الذى كان يسود ويسيطر ، حمانا من الكارثة ، ثم صنع لصالحنا تحولات لو مضينا فى متابعتها لافادتنا الكثير .

وهذا ما يؤكد ظنى بأن مقاومة الغزاة ممكنة ويسيرة متى عدنا من جديد الى مصدر قوتنا الاعظم ، وهو الالتزام فكرا وسلوكا بروح ديننا المنتصر البناء .

* * *

ثانيا : هل تفوق عدونا فى علوم العصر يقضى بعجزنا عن المقاومة :

لست أرى ذلك ..

لعدة أسباب : أبرزها فيما أعتقد أن الفجوة التى بيننا وبين أعدائنا ليست نتيجة لتخلف خلقى - بكسر الخاء - فى طبيعتنا وتكويننا وانما هى حصيلة الغفلة والاهمال عبر قرون طويلة ، ولا أكون من المبالغين اذا أشرت الى ما كان لنا نحن المسلمين من تفوق - فى فروع العلم النظرى والتجريبى - يوم كان هؤلاء الاعداء أنفسهم عيالا فى ذلك علينا ، وهذا واقع لا ينكره التاريخ ، حتى حين يكتبه المتعصبون ضد الاسلام .

ثم ان من مزايا التفوق العلمى المعاصر أنه جعل العالم كله كأنه مدينة صغيرة يعرف سكانها جميعا بكل ما يجرى فيها ، وهذا يتيح لنا - متى أخذنا الامور بجد - أن نقف على خطط الاعداء وأن نواجهها بما يصلح لاحباطها .

كما أن هذا التفوق العلمى المعاصر قد أخضع كل أمور الحياة للتخطيط والدراسة ولسيطرة المناهج العلمية، وأظن هذا مما لا يستعصى على المسلمين أن يمارسوه ويأخذوا به فى كل مجال حتى المجال السياسى .. وكل ما نحتاجه أن تكون لدينا العزائم المؤمنة للتخطيط والعمل والمثابرة الواعية .

والى جوار هذا كله تبرز أمامنا - الوقائع الحية التى أمكن فيها - غير مرة - الانتصار على العدو ، وهزيمته وفى قمتها جميعا ماحدث من التحولات

الخطيرة فى موقف العالم بعد حرب رمضان ، فهذه التحولات التى جمعت القارة الافريقية كلها على موقف واحد ضد الغزاة ، والتى جمعت شمل العرب اجتماعا جديا ومؤثرا لاول مرة ..

هذه كلها تؤكد أن المقاومة ممكنة وأن علوم العصر وحدها ليست السلاح الذى يقهرنا به العدو . لكنه يقهرنا أكثر لاننا الذين نسلم له الحصون .

ثالثا : ماهو دور التبشير والاستشراق فى خطة الغزاة :؟

والحق أن هذين الجانبين ، الاستشراق والتبشير .. يمثلان أهم الركائز أو بتعبير العسكريين يمثلان « الطلائع المبكرة والمؤثرة فى حركة الغزو الفكرى فى العصر الحديث .. ولولا ضيق المساحة لافردت لهما حديثا مفصلا .

فبالنسبة لدور الاستشراق يجب أن يكون من المسلمات أن تسعا وتسعين بالمائة من جهود المستشرقين كانت موجهة لصالح المؤسسات والهيئات والحكومات التى كانت تتولى الانفاق على اعضائها وحمايتهم ومكافأتهم اخر الامر على ما يبذلون من جهود ..

والمتصلون بنشاط المستشرقين يعرفون أن ابرز مجالات عملهم كانت تنحصر تقريبا فى :

أ ــ تحقيق التراث الاسلامى ونشره .

ب ــ دراسة اللهجات المحلية للشعوب وللقبائل .

ج ــ دراسة العوامل الاجتماعية والنفسية والاقتصادية المؤثرة فى سيرة كل شعب .

د ــ دراسة الفرق والنحل والنزعات المختلفة والمتطرفة منها بوصف خاص .. (١)

هـ ــ دراسة الحفريات والاثار .

---

١ ــ للوقوف على تفصيل ما اشرت اليه راجع اعمال المستشرقين فى كتاب «المستشرقون» للدكتور نجيب العقيقى . وكذا فهارس المخطوطات لمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية وفهارس دار الكتب المصرية وفهارس المكتبة الظاهرية بدمشق والمجمع العلمى العراقى وكتاب : مع المخطوطات العربية أكراتشكوفسكى وغيرهما .

ولقد يقال — للوهلة الاولى — ان تحقيق تراثنا والعناية بدراسة أحوال شعوبنا عمل مفيد فى التوجيه السياسى والثقافى والتربوى لها ٠٠ وأن المستشرقين يشكرون لانهم اهتموا بتراثنا وأخرجوه من الظلمات الى النور ٠

وفى هذا بعض الحق من زاوية بعينها هى أنهم حين بدأوا عملهم قد أثاروا فينا حس الاهتمام بهذا التراث والعمل على نشره ٠٠ وقدموا بين أيدينا نماذج لمناهج النشر أفاد منها كثيرون من المحققين فيما بعد ٠٠

لكن هذا العمل كان فيه بعض المنفعة وكان فيه قبلها خطر غير يسير ٠

فالملاحظ على اهتمام المستشرقين بالتراث أنه انصب على الجانب الادبى وبعض الجوانب اللغوية مع اغفال تام للجانب العلمى فى تراث المسلمين ، وفى هذا تنويم متعمد للروح العلمى الذى كان — ولايزال — محتاجا الى التأصيل والتنمية ٠

والملاحظ كذلك أن المستشرقين وصنائعهم كانوا حريصين على اشعار القارىء المسلم بأن اسلوبهم فى التحقيق والتوثيق ، أسلوب غربى ابتكره الاوربيون وتفضلوا به علينا وعلى غيرنا وأغفلوا فى ذلك مناهج الباحثين المسلمين ٠٠ اغفالا يراد منه نزع الثقة فى كفاءة العقلية المسلمة لتحمل أمانة العلم وحاجتها — بعد ذلك — الى متابعة الغربيين ٠

ولست بحاجة الى أن أذكر بأن مناهج علم الرواية — وخاصة رواية الحديث النبوى الشريف — تعتبر من أدق المناهج الموضوعية التى تميز بها المسلمون وسبقوا بها غيرهم ٠

* ◉ *

فاذا نظرنا الى اهتمام المستشرقين بنوع ما يحققونه وما ينشرونه ألفيناهم يبلغون ذروة العناية بالحركات الهدامة ، والنزعات الغريبة ، وبكل المواقف والآراء المثيرة للجدل وللخلاف بين المسلمين

فهم متلاحين يبحثون فى علوم القرآن ٠٠ لا يستوقفهم شىء أكثر مما يستوقفهم الخلاف بين القراءات وما يتصل به من « حديث الاحرف السبعة » وكأنه لاشىء وراء ذلك يثير الاهتمام

حين يدرسون تواريخ العصور الاسلامية يهتمون كبيرا بتاريخ الفتنة الاسلامية التى نشبت بعد مقتل عثمان رضى الله عنه ، وما أدت اليه من فرق ومذاهب ..

بل حين يفرغون لتراجم الشخصيات تستوقفهم النماذج المريبة الغامضة التى يمكن ان يختلف من حولها الناس ، فهم مثلا يهتمون بحركة « الزنج » و «القرامطة» والحركات الباطنية ، وبشطحات المتصوفين والحلوليين ودعاة وحدة الوجود وغيرهم كما هو موقفهم من « ابن عربى » و «الحلاج » وغيرهما :

* ★ *

أما دراسة الاثار واللهجات المحلية فالخطر فيهما أن الاولى أريد بها جذب الشعوب الاسلامية الى اقليمية ضيقة ، وبتر علاقتها التضامنية مع بقية المسلمين ، وليس بعيدا ما ترتب على العناية بالاثار فى مصر من ظهور الدعوة الى « الفرعونية » بدلا من الانضواء تحت لواء الاسلام والعروبة .. وكذا الفينيقية والفارسية والاشورية الى آخره ..

وأما موضوع اللهجات المحليات فهو الكارثة المباشرة التى كان هدفها الظاهر فى عملية الغزو هو الدعوة الى العامية بدلا من الفصحى اللغة المشتركة بين المسلمين تمهيدا للقضاء على لغة القرآن وعزل المسلم عن تراثه

وأما عن عنايتهم بكتب التصوف وتاريخ المتصوفة فله من الخطر نصيبان : نصيب تغييب العقل الاسلامى عن الواقع اليقظ الى شطحات وتأملات لا يقدر عليها كل فرد ، وهى مع ذلك ليست بذات غناء فى قيادة حركة الحياة .. ومن ناحية ثانية فالمعروف فى التصوف أن « كل شيخ له طريقة » ومعنى هذا أن ننحدر دائما الى التجزئة والاختلاف بدلا من التلاقى على درب التوحيد والتضامن ..

فاذا جاوزنا كل ذلك واجهنا الموقف العدائى الصريح من المستشرقين للاسلام ورسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه ، ولهم فى هذا سوءات وسوءات لا مجال لتناولها .. وقد تتاح الفرصة باذن الله لتناول هذا الموضوع كله ذات يوم (١)

---

١ - كان المفكر الاسلامى الاستاذ محمد قطب قد القى بكلية الشريعة بمكة المكرمة محاضرة عن « المستشرقين والاسلام » فصل فيها الكثير فى هذا الموضوع واعقبتها ندوة شارك فيها الدكتور محمد أمين المصرى والاستاذ محمد المبارك وغيرهما وهى ندوة قيمة فى بابها وقد سجلها بعض طلاب الكلية ويمكن الرجوع اليها .

• * •

أما دور التنصير ويسمونه خديعة بالتبشير فانه لا يقل خطرا عن الاستشراق لان الجهود الاولى للمبشرين تنصب على قطع الطريق على الاسلام فى المناطق التى كانت البدائية ـ ولا تزال ـ غالبة عليها كما هو الحال فى بعض مناطق أفريقيا ..

واذا كان العمل فى مجال الاستشراق يحتاج الى نوعيات بعينها من الرجال فالعمل فى التنصير أدهى كثيرا .. وهم منذ بعيد قد أحسنوا اعداد دعاتهم ومبشريهم لهذه الغاية

وفوق هذا فان جهود الاستشراق تتبناها جمعيات أو تتبناها بعض أجهزة الاستخبارات المختلفة لكن عمليات التنصير تنهض بها دول الغرب جميعا ، ولها فى الفاتيكان دولة ذات امكانيات ونفوذ غير محدود ..

ولهذا كله فان التنصير لا يقل خطرا ـ ان لم يزد ـ على النشاط الاستشراقى فى مجال الغزو .. لكنه مع كل خطره ـ محدود النجاح ـ وكلما ازداد الوعى وانتشر التعليم والثقافة بات جهد المبشرين غير ذى جدوى الا فى حالتين .. الحالة التى يسقط فيها الضحية سواء كان فردا أم حكومة صريعا للحاجة المادية الملحة .. عندئذ يكون الفقر طريقا الى الكفر كما يقولون ..

والحالة الثانية : عندما يتمكن المنصرون من فتح مدارس للارساليات وتصرح لهم الدول الاسلامية أو غير الاسلامية بذلك ـ عندئذ لابد أن تقع الكارثة لاننا ـ بأيدينا ـ نقدم أنفسنا لطوفان الوباء .

• * •

رابعا : فساد الاسرة المسلمة :

وأقف هنا خاصة أمام سيدة هذه الاسرة وأعنى بها الام .. التى يمكن اذا صلحت أن تكون ذات أثر بناء لا يكاد يحد ..

لكن الملاحظ ـ مع الاسف الشديد أن الكثرة الساحقة من النساء المسلمات أصبحت الان فى القبضة الحديدية للغزاة ، يحركونهن ويقودونهن ، دون أدنى مشقة أوعناء .

ولما كان النساء — وهذا ليس طعنا فيهن — تغريهن المظهرية البراقة والانصياع للعواطف .. فقد حرص الغزاة منذ بعيد — على تجنيدهن فى عمليات الغزو تحت شعار التمدن، التحرر ..

وتحررت المرأة — أو قل — تحللت لتصبح أسيرة لدى مصممى الازياء وصناع العطور واصباغ الوجوه وما اليها .. أعنى أصبحت باختصار سجينة للمتاع الحسى الغليظ فى الحياة .. دون تفكير أو روية .. بل وكثيرا جدا بمبالغة سخيفة فى التقليد والتنفيذ .

ولست هنا فى مجال محاكمة المرأة المسلمة فهى — فى الواقع — مجنى عليها وجانية ، ونحن الرجال مسئولون تماما عن كل ما انحدرت اليه ، لاننا الذين أهملنا القوامة التى أمرنا بها الله ..

لكن ما يعنينى أن أنبه الى خطر هذه الناحية التى يجب الانتباه الشديد اليها باعتبار المرأة عنصرا توجيهيا من أخطر العناصر على مستقبل الاجيال .. ويمكنها — منذ نعومة أظفار الطفولة أن تصنع جيلا مسلما حصينا بالخلق القويم والفكر السوى ، ويمكنها غير ذلك .

ومن غير المجدى أن يحاول الدعاة الى الله حماية الشباب المسلم من الغزو الفكرى إذا كان تيار الفساد يخنق الجو الاسرى ويشيع فيه التحلل والانفلات . من الاخلاقيات والمثل .

* * *

ولعل من الضرورى ان نقف على بعض المظاهر التطبيقية لهذا الغزو ، بعد ماحاولنا أن نلم بابعاده من الوجهة الفكرية .



صور من مظاهر الغزو الفكري في مختلف المجالات

في مجال التشكيك في صلاحية الاسس :

في هذا المجال ـ وأنا أسوق الصورة من الواقع القريب الذي عرفته بلدي : مصر ـ ظهرت الدعوة إلى التشكيك في فكرة «الخلافة» الإسلامية ، وكان قد بدأ حوار من حولها كوسيلة لاستعادة الوحدة الاسلامية ، وخاصة بعدما فطن المفكرون لدور الحركة الصهيونية في الغاء الخلافة العثمانية ..

وكان الحوار الجديد ينادي بجامعة اسلامية تكون الخلافة على رأسها .

عندئذ ـ وهذا عجيب وغريب ـ ظهر من يؤلف كتابا عن « الاسلام وأصول الحكم » . يذهب فيه الى أن الخلافة ليست وسيلة اسلامية للحكم .. ؟!

وكانت لهذا العمل ضجة في مصر قضت على الكتاب وصاحبه .. لكن الفكرة ـ فكرة الخلافة ـ قد وئدت هي الاخرى .

. * .

وحين كثرت الدعوة الى إستلهام تراثنا الثقافي الاسلامي ، واعتباره أهم مرتكزات نهضتنا الحضارية وأيامها كانت الامة العربية لم توشك بعد أن ترفع رأسها وتريد أن تتحسس الطريق الذي تختاره للنهضة بين استلهام التراث أو الاندفاع صوب الغرب ..

في هذه الفترة ظهر من يؤلف كتابا عن « الشعر الجاهلي » يترجم فيه آراء المستشرقين الغزاة ، ويشكك ليس في صحة مصادره فحسب ، بل في صحة كثير مما ورد من أخبار الأنبياء ورسل الله السابقين ـ في القران الكريم .

وقامت من حوله ـ هو الاخر ـ ضجة فكرية وسياسية ـ حملت صنيعة الغزاة على أن يلم خطاه وينسحب الى حين ـ من المعركة ..

لكن الفكرة – فى ذاتها – بقيت أصداؤها قائمة حتى طلع علينا من يتقدم برسالة الى احدى الجامعات يذهب فيها الى أن « قصص القرآن» عمل فنى .. وكأنه ليس تنزيلا من لدن حكيم حميد ؟ !

* * *

وحين أخذت مصر تفيق الى دورها الكبير بين شقيقاتها العربيات والاسلاميات فى أوائل هذا القرن ،ولاحظ الغزاة أن مثل هذا الاتجاه – لو نجح – يضر بمخططاتهم .. أطلقوا من يؤلف كتابا عن مستقبل الثقافة فى مصر « ليقول فيه ان علاقات مصر الثقافية والحضارية بمنطقة حوض البحر الابيض المتوسط – يعنى اليونان والرومان ، وما يتفرع عنهم شمالا – أوثق وألصق من علاقاتها بالدول العربية ..

ومع أن الكتاب هوجم وعورض .. الا أن الفكرة ظلت قائمة ، حتى جاء أحد غلاة المبشرين المصريين ليؤلف مسرحية عنوانها « الراهب » ليسلخ فيها مصر من عروبتها ويسقط من تاريخها الحديث القرون الاربعة عشر التى أظلها فيها لواء الاسلام .. ثم يرد مصر من العصر الحديث مباشرة الى عهد الفراعنة .. وكأن الاسلام الذى بينهما ، والذى هو الوجه الحق مصر المعاصرة ليس له وجود ..

* * *

فى مجال قطع الطريق على ثقافة القرآن :

فى هذا المجال كان من أبرز المحاولات تلك الاكذوبة الشهيرة التى أثيرت طويلا باسم قضية « الفصحى والعامية »

ولا رحم الله مهندس المجارى الانجليزى « وليام ويلكوكس » الذى جاء الى مصر ليحاضر سنة ١٨٨٣ م فى موضوع « لماذا لم توجد قوة الاختراع عند المصريين ؟ » ثم يجيب الجواب العجب .. بأن سر تأخر المصريين – وطبعا كل العرب – فى هذا المضمار هو أنهم يستخدمون اللغة العربية الفصحى لغة للعلم والادب وهى لا تصلح لهما .

ورحم الله حافظ ابراهيم شاعر النيل المصرى الذى أبدع فى هذه المناسبة قصيدته الشهيرة على لسان اللغة العربية ومطلعها :

رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى وناديت قومى فاحتسبت حياتى

رمونى بعقم فى الشباب وليتنى عقمت فلم أجزع لقول عداتى

ثم يسجل الهجوم المعادى فى قوله :

أيطربكم من جانب الغرب ناعب ينادى بوأدى فى ربيع حياتى

ويرد رده القاطع ..

وسعت كتاب الله لفظا وغاية وما ضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسماء لمخترعات ؟!

وقد راح « ديلكوكس » عن مصروبقى فيها فرح أنطون ، وشبلى شميل ، وسلامة موسى ونظراؤهم وكلهم – كما نرى – مبشر متعصب ينادون بالدعوة الى العامية ، ويشاركهم فيها بعض المستغربين من أبناء المسلمين ويمكنون لها فى التمثيل والمسرح والصحافة والاعمال الادبية حتى أصبحت من مشكلاتنا المزمنة ، وتكونت بها عقبة كؤود فى طريق العودة السليمة الى لغة القرآن ..

* * *

وحين بدأت النهضة فى « احياء التراث » بنشر بعض تفاسير القرآن وبعض كتب السنة النبوية وما يتصل بهما من كتب اللغة والتاريخ والكتب الادبية النظيفة .. أبى الغزاة الا أن يفسدوا المسيرة الطيبة ويدخلوا عليها بالكتب المحشوة بالمطاعن على رجال الاسلام وعلى أمة النبى العربى صلى الله عليه وسلم وكان من الملفت للانتباه أن يحظى كتاب الاصفهانى المعروف « بالاغانى » بما لم يظفر به كتاب من كتب الفكر الاسلامى الاصيل . فقد نشر أصل الكتاب ثم نشر « مختار الاغانى » ثم « تجريد الاغانى » ثم « مهذب الاغانى » وكأن ثمة قوة قاهرة تصر على أن يصبح هذا الكتاب بكل مافيه من حشو وافساد وتحلل – وثيقة متداولة تنالها كل يد ..

* * *

• فى مجال افساد الاسرة :

أخرجت المرأة المسلمة اخراجا من حصنها الكريم لكى يلقى بها الى الطريق باسم التحرر كما أشرنا وجند الغزاة صنائعهم ليمجدوا الجريمة ويهللوا لها ..

وتحت شعار التحرر أيضا سحبت ولاية الرجل وقوامته شيئا فشيئا حتى أصبح فى أحيان كثيرة اخر من يعلم بما يجرى فى محيط أسرته وحسبك بهذا خرابا ·

وتحت الشعار ذاته دعا الغزاة علانية لاطلاق حريات الشباب ليعيشوا أيامهم — على حد تعبيراتهم ومعنى هذا أن يطربوا ويشربوا ، وينحرفوا ماشاءوا ·· وكأن هذه هى الحياة ··

وتحت شعار « المودرنزم » مورست كل ألوان الخلاعة والانحلال من كل شيء حتى الانحلال من الفطرة ذاتها فرأينا رجالا يتشبهون بالنساء ونسوة تتشبه بالرجال ، واختلطت الفوارق فى الملبس والزينة والسلوك والمظهر لدى كثيرين حتى بات عزيزا أن تفرق فى بعض الحالات بين البنت والولد ··

والواقع المحيط بنا جميعا يغنى عن الكلام · حتى ليشعر المستمسك ببعض دينه بأنه منبوذ أو غريب ·

· * ·

فى مجال التربية والتعليم :

كان الحال فى كثير من ديار الاسلام — وحتى عهد قريب جدا — يدعو الى العجب ، فالطالب المسلم كان يعرف عن تاريخ الغرب وحضارته وشخصياته وما اليها أكثر مما يعرف عن تاريخ أمته أو تاريخ بلدة ·· وربما كان القصور مما يمكن تداركه ·· لكن الكارثة الحقيقية أن كثيرا من حقائق تاريخنا قد شوهت تماما وعرضت من وجهة النظر التى يريدها الغزاة ··

وأذكر على سبيل المثال تاريخ الخلافة العثمانية التى صورت وكأنه ليس فى تاريخها كله نقطة صلاح واحدة ·· وهذا ظلم كبير ··

ولكن لان أحد سلاطينها رفض الانصياع للمطامع الصهيونية فى فلسطين رغم الاغراء الخطير بالمال، فلقد جوزى بالخلع ، وكان أحد الاربعة الموفدين لابلاغه بالقرار يهوديا ثم تعقبوا تاريخه وتاريخ الخلافة بالتشويه والافتراء ، وقبلنا ذلك منهم على أنه حقائق نضعها كما نؤمر ··

كما أعدت لنا المناهج التربوية لتغرس فى عقولنا القيم التى تتفق

ومصالح المستعمرين والغزاة .ولست انسى ما كنا نلقنه في السنوات الاولى من التعليم فى بلدنا مصر من أنها « هبة النيل وهى بلد زراعى لا يصلح للصناعة لعدم وجود الفحم والحديد.» ثم دارت الايام وتبين عكس ذلك ، لان الفكر الغازى كان يريد لنا أن نكون بلدا زراعيا نزرع له القطن الذى تنسجه مصانعه ، ثم يبقينا سوقا له لاستهلاك ما يصنع.

• ✱ •

وقد سبقت الاشارة الى أن العناية باللغة العربية وبالثقافة الاسلامية كانت اضأل من أن تذكر ، بل كان الاعلاء وتنبيه الذكر مقصورين على ما يمثل الفكر الغازى بأى حال فاللغة الانجليزية والفرنسية ومدرساهما يحظيان بالاهتمام من الطالب وادارة المدرسة والوزارة بما لاتحظى به اللغة العربية أو مادة الدين الاسلامى ..الامر الذى عكس انطباعا نفسيا ضارا لدى الكثيرين من منقفينا وأفقدهم أكثر ولائهم للغة دينهم وتراث أمتهم ..

• ✱ •

ولو مضيت أتتبع مظاهر الغزو وألوانه لما انتهيت .. فقط هى نماذج أضعها بين يدى القارىء الكريم ليقيس عليها أشباهها ، وسيدرك من نفسه أننا محاصرون ، وان من أكبر واجبنا أن نكسر هذا الحصار والله يسدد خطانا ..

وبعد

فهذه لمحات معجلة عن الغزو الفكرى الذى نتعرض له .

ولقد سبق أن أشرت الى أنه: مع ضراوة الغزاة .. ومع وفرة تجاربهم فى التخطيط والتخريب والتسلل .

فان أمرهم ليس مما يستعصى على المقاومة والعلاج .

✱ ◉ ✱

واذا كان اليهود فى « التلمود »وفى البروتوكولات وفى منشورات المحافل الماسونية وأجهزة الدعاية يتباهون بانهم قوة لاتقهر ليزرعوا اليأس فى نفوس المسلمين ..

فقد أثبتت الايام أن ذلك باطل .

وأن بالامكان أن يقهروا ..

وفى يقينى أن حرب رمضان كانت نموذجا لامكان بلوغ النصر على العدو .. متى أخذنا للنصر أسبابه ..

ذلك لان قوتنا الحقيقية الكبرى تكمن فى عقيدتنا ..

ومتى انتبهنا اليها وأحسنا الافادة بها فلابد أن ننتصر .. لا أقول هذا من باب الاندفاع العاطفى ولكن من باب الايمان بما قرره القرآن

« **ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** » وقوله « **ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين** » .

من هذا الايمان الذى أكدته التجارب عبر التاريخ ومع كل انتصار أحرزناه فى بدر والقادسية واليرموك وحطين .. الى أيام رمضان الاخيرة.

من هذا الايمان أتقد بأن طاقة الانتصار موجودة ومضمونة وهى العودة الى منابع القوة العقائدية فى كتاب الله وسنة الرسول صلوات الله عليه ..

. * .

وفى هذا المقام أتصور أن من الممكن مواجهة غزاة الفكر بالاساليب الاتية :

أولا :

اعادة النظر فى جميع مناهج التعليم فى ديار المسلمين بحيث نغلق فيها جميع النوافذ التى تهب منها رياح الخطر ، والتى يكون هدفها الاكبر اعداد المثقف المسلم كما ينبغى أن يكون .

وفى هذا المقام يجب أن تعنى الجامعات فى بلاد العالم الاسلامى عناية فائقة بتدريس مادة « الثقافة الاسلامية والمجتمع الاسلامى » وأن يكون حديث الغزو الفكرى فى صلب مناهج هذه المادة حتى تتفتح الاذهان والعيون الى مواطن الخطر .. ومن فضل الله أن ثمة أعمالا علمية جليلة قد أنتجتها أقلام مسلمين غيورين تعالج هذا الموضوع بشكل أو باخر (١)

---

١ — اشير فى هذا الى أعمال الاساتذة ابى الاعلى المودودى وابى الحسن الندوى والشهيد سيد قطب والاستاذ محمد قطب والاستاذ محمد المبارك والاستاذ احمد جمال، الدكتور عمر فروخ والدكتور محمد محمد حسين والاستاذ العقاد والاستاذ الرافعى والاستاذ احمد عبد الغفور عطار والاستاذ انور الجندى وغيرهم من الافاضل الذين لا تعيهم ذاكرتى المهلهلة .

ثانيا : اذا كانت الامم الناهضة تنشيء بين أجهزتها « بادرات » لمكافحة المخدرات و «لمقاطعة بضائع الاعداء »

فقد ان الاوان لتأسيس هيئة على مستوى كبير « لمكافحة الغزو الفكرى » تكون مهمتها الدائمة رصد تحركات الغزاة واتخاذ الوسائل لمواجهتها ، وأن يكون لها من النفوذ والفاعلية ما يعينها على ذلك .

ثالثا :

من الاهمية بمكان أن تنتهى حالة تغييب الفكر الاسلامى الاصيل عن مجالات الصراع الدائرة فى الحياة وأن تطرح المبادىء والاسس الاسلامية — بوعى وتفتح — أمام جماهير أمتنا حتى لا تجد نفسها مضطرة دائما الى الاستيراد .

رابعا :

من الاهمية بمكان أن تكون لنا وكالة أنباء اسلامية يشرف عليها رجال مخلصون على قدر من النضج الكافى والالمام بالتيارات المصطرعة على استشفاف الخطر المبثوث فيما ينشر من أخبار (١)

خامسا :

لا يقل عن ذلك أهمية أن يكون لنا تخطيط اعلامى اسلامى مستنير يضع الكلمة فى حجمها التوجيهى الصحيح ويحمى عقولنا ومشاعرنا من التحذير والسموم التى يوجهها الينا الغزاة .. مع تقديم البديل الايجابى البناء ..

من الضرورى تحريك الطاقات الادبية المبدعة وتوجيهها لاستلهام تراثنا وتاريخنا الحضارى (٢) ، حتى تعبأ مشاعر جماهيرنا تعبئة اسلامية تكون بمثابة الامصال الواقية ضد الاوبئة الغازية ..

سابعا :

من الضرورى أن تتضامن أمتنا الاسلامية لتحقيق اكتفاء اقتصادى

---

١ — احمد الله ان هذا المقترح سبق ظهور الكتاب وصبح بفضل لله حقيقة قائمة .

٢ — اذكر فى هذا محاولة مشكورة لجريدة « البلاد » السعودية فى الاستفتاء الذى نهضت به فى عام ٩٣هـ رغبة فى الوصول الى ادب اسلامى كما لا انسى الدور الكريم الذى نهض به الاديب الراحل على احمد باكثير ومن قبله « الرافعى » ونظرائهم من المخلصين .

يغنيها عن الحاجة الى الارتماء في قبضة السيطرة المالية اليهودية الغازية • • والتي تتخذ معبر السيطرات أخرى على مقدراتنا السياسية والاجتماعية والفكرية •

وأخيرا :

من الضروري جدا أن يتم التنسيق بين حملة الاقلام الاسلامية وجميع الهيئات العاملة في حقل الدعوة الاسلامية وتنظيم اللقاءات الدورية بينها لمتابعة حركة الغزو الفكري ورصد تطوراته لاتخاذ الخطوات الواجبة لمواجهته ••

وفي يقيني أن هذه مهمة «الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي» بمكة المكرمة ، وكذا «الامانة العامة للمؤتمر الاسلامي» بجدة وهما معا على المستويين الشعبي والحكومي تستطيعان أن تنهضا بالكثير ••

• ★ •

ان الامر — في تصوري — أكبر من أن يكتب فيه مثلي بحثا أو يلقى عنه محاضرة •• انه يحتاج الى كل الكفايات والى احتشاد الادمغة والعقول

فقط • • فان محاضرتي عن هذا الموضوع برابطة العالم الاسلامي كانت مقدمة لهذا البحث ، ويجب أن تكون مقدمة لاعمال كبار •• فما أكثر ما تكلمنا •• وما أقل ما نعمل •

والله وحده الهادي الى سواء السبيل ، لكنه — سبحانه — لا يهدي الا من يعملون له « **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** » •

انه مصير أمة •• ومصير دين •

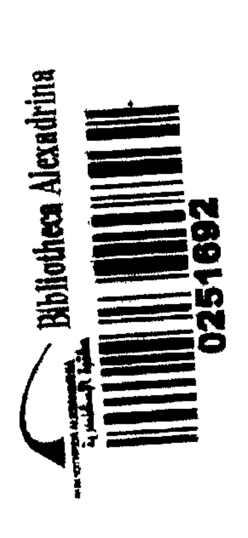
فان أدينا واجبنا فقد أثبتنا أهليتنا للدور المنوط بنا •• وان كانت الاخرى فقد أعذر من أنذر ••

« ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا »

مكة المكرمة في غرة جمادى الاولى سنة ١٣٩٤ هـ

د • عبد الصبور مرزوق
الاستاذ المساعد بجامعة الملك عبد العزيز




Bibliotheca Alexandrina
0251692